الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنـــــــوان المذكّـــــــرة

بلاغة الحوار في كتاب "كشف الأسرار في حِكَم الطيور والأزهار" لِابن غانم المقدسي –دراسة تداولية حجاجية–

مذكّرة مقدّمة لاِستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصّص: لسانيـات عـــربيــة

من إعداد:

- دراوي شهينـــــاز
- شتـيوي يـــامنـة

تحت إشراف الأستاذة:

قطـاف ســارة

2022 -2021

الإهداء

إلى من قال الله فيهم "ووصّينا الإِنسان بوالديه إحسانا" ومن كان دعاؤهم لي سندًا ولازال لطريقي نبراسًا.

إلى التي لم أجد كلمة توفي حقّها حفظك الله لي، أمّي، امّي، أمّي... أطال الله في عمرك.

إلى الذي ربّاني على الفضيلة والأخلاق، أبي العزيز أطال الله عمرك.

إلى إخوتي الأعزّاء سدّد الله خطاهم.

إلى أخواتي الفضيلات أنعم الله عليهم بالخير.

إلى كلّ الأهل والأصدقاء.

دراوي شهيناز

الإهداء

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وأهله ومن وفى، أمّا بعد:

الحمد لله الذي وفّقنا لتثمين هذه الخطوة في مسيرتنا الدراسية بمذكرتنا هذه ثمرة الجهد والنجاح بفضله تعالى مهداة إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله وأدامهما نورًا لدربي.

لكلّ العائلة الكريمة التي ساندتني من اخوة وأخوات.

إلى رفيقات المشوار اللاتي قاسمنني لحظاته رعاهم الله ووفّقهم.

إلى كلّ من كان له أثر على حياتي، وإلى كلّ من أحبَّهم قلبي و نسيهم قلمي.

شتيوي يامنة

مـــقدّمـــة

خلق الله الإنسان وأودع داخله حبّ التواصل مع غيره، قال تعالى: ﴿الرحمان علّم القرآن خلق الإنسان علّمه البيان﴾ [سورة الرحمان، الآية 3]، فاللغة وعاء الفكر وأداة الإتّصال، ووسيلة التفاهم والتخاطب والتعبير عمّا يكتنهالنفس البشرية من معاني ودلالات، لذلكحظيت بإهتمام كبير جعلها تأخذ الحيّز الأكبر في الفكر الإنساني قديمًا وحديثًا، وذلك لما تؤدّيه من وظائف تستحقّ البحث فيها ودراستها، فالوظيفة الأساسية للغة هي الإتّصال والتواصل، وذلك لأنّها ظاهرة إجتماعية تستمدّ روحها من المجتمع.

ولما كانت اللغة –لإعتبارها وسيلة تواصلية بين البشر– تستدعي توفّر أدوات وآليّات تستخدم من قبل الأطراف المشاركة في عملية التواصل، أدّى ذلك إلى بروز الكثير من الفروع المهتمّة بدراستها، ومن بينها التداولية، التي ركّزت على الأساليب الكلامية والآثار الدلالية المقترنة بالسياق المقامي. ويتجلّى إهتمام التداولية باللغة من خلال التركيز على طريقة الإستعمال وربطها بخطّة الإنجاز ومدى تأثيرها في السامع، ولعلّ هذا ما ربط التداولية بعلوم أخرى كعلم الإجتماع وعلم النفس وغيرهما.

وضمن المجال التداوليةنَشَأَتْ العديد من النظريات، من بينها نظرية الأفعال الكلامية التي تعدّ أهمّ نظرية تداوليّة، وذلك كونها تعدّ البنية الصغرى التي يستلزم الدارس الوقوف عندها.

كما يُعدّ الحجاج من أهمّ النظريات التي تهتمّ التداولية بها، إلى جانب نظرية التلفّظ وأفعال الكلام، والحجاج يُركّز أساسًا على دراسة الطريقة والأسلوب اللذان يتبنّاهما المتكلّملتغيير ممّا يعتقده المتلقّي، ولإقناعه بالموضوع المراد إيصاله له، فالخطاب الحجاجي أكثر الخطابات اللغوية إلتصاقًا بالجمهور، لأنّه خطاب ينشد الاستمالة والتأثير في المتلقي.

من هذا المنطلق، وهذه الأهمية تكوّنت لدينا رغبة في دراسة هذا الموضوع، ولعلنا نجمل أهم أسباب اختيارنا له في النقاط الآتية:

- قلّة الدراسات المتعلّقة بالحجاج والمنهج التداولي.
- أهميّة موضوع التداولية والحجاج كونه موظّف في جميع أنواع الخطاب.
- المكانة التي تُمثّلها التداولية والحجاجفي نصوص الأدب، ففي هذه الأخيرة أيضا يحضر الحجاج والإقناع بقوة.
- الرغبة في التعرف على أهمّ مفاهيم الدرس الحجاجي والتداولي.
- التعرّف على الآليات الحجاجية والتداولية الموظفة في كتاب ابن غانم المقدسي، ولا سيما "أفعال الكلام".
- محاولة التعريف بالنظريات الحجاجية الحديثة، وعلاقتها بالدرس التداولي.
- تمّ اختيار كتاب ابن غانم المقدسي كونه يحمل رسالة غير مباشرة تتحدّث عن أهمّ القيم الأخلاقية التي يجب أن يتميّز بها كلّ اِنسان واعٍ وأخلاقي.

وقد جاءت الدراسة مقسّمة إلى: مقدّمة، مدخل، فصلين وخاتمة:

تناولنا في المدخل مفهوم الحوار لغة واصطلاحًا بِاعتباره ظاهرة اِنسانية رافقت الإنسان منذ ظهوره. وتطرّقنا إلى مفهوم البلاغة لغة واصطلاحًا لأنّها مرتبطة ببلاغة المتكلّم أثناء تحاوره مع غيره، بحيث يستخدم أساليب بلاغية وإقناعية أثناء الحوار في المناظرة من طاقة حجاجية، أمّا عنصرنا الأخير في مدخلنا، فهو ماهية الدراسة التداولية الحجاجية، حاولنا فيه تقريب المجالين للقارئ قدر المستطاع. ثم عرفنا مدوّنة كتاب ابن غانم المقدسي في كتابه "كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار".

وجاء الفصل الأوّل تحت عنوان "تحليل تداولي لكتاب كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار"، بحيث تناولنا فيه مفهوم التداولية، النشأة والتطوّر، الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي وما يحتويه من أساليب طلبية وأخرى غير طلبية، عيّنّا الأفعال المباشرة وغير المباشرة.

أمّا الفصل الثاني، فعَنْوَنَّاه بـ "تحليل حجاجي لكتاب كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار"، أين قُمنا بتعريف النظرية الحجاجية عند العرب والغرب وما تحمله من أدوات وآليّات حجاجيّة والخطاب الحجاجي، أو ما يُسمّى بالحجاج الإقناعي الذي له صلة متينة بالنظرية الحجاجية.

وككلّ بحث، واجهتنا العديد من الصعوبات، نذكر منها:

- صعوبة تحليل المادّة اللغوية الموجودة في خطب الحجاج، كون صاحب الخطاب يمتلك مادّة لغوية خصبة، تتخلّلها ألفاظ جزلة مُستقاة من أعمال التراث العربي القديم.
- صعوبات في ترجمة المصطلحات التداولية، وبالخصوص في كتاب "سيرل" ومعجم "جاك موشلار".

وأخيرًا، لا نزعم الكمال في هذه الرسالة، غير أنّنا لم نوفّر جهدًا إلّا وبذلناه، نعزو فضل ذلك إلى الأستاذة المشرفة "قطاف سارة"، التي لم تبخل علينا بالنصائح والتوجيهات التي ساهمت في بناء لبنات هذا البحث، فلها جزيل الشكر والعرفان، ولكلّ من قدّم لنا يد العون من أساتذة وزملاء.

نسأل الله أن يتقبل منهم ومنّا؛ والله الموفق، وهو من وراء القصد، وصلى الله على سيّدنا ومولانا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

المدخل

- ✓ مفاهيم اصطلاحية
- ✓ الحوار:
  - ➢ لغة
  - ➢ اصطلاحا
- ✓ البلاغة:
  - ➢ لغة
  - ➢ اصطلاحا
- ✓ بلاغة الحوار
- ✓ ماهية الدراسة التداولية والحجاجية

يُعتبر الحوار ظاهرة إنسانية رافقتالانسان منذ وُجوده على وجه الأرض، فهو ضرورة حتمية للكائن البشري لأنّ الانسان كما يؤكّد علماء الاجتماع لا يستطيع أن يعيش مُنعزلا عن الآخرين ولما كان الفرد بحاجة للآخر وكان الاخرون بحاجة إليه،أصبح يعيش مع غيره فيبادلهم المنافع المختلفة ويُعبّر عن آرائه وأفكاره وحاجاته المختلفة مع بني جنسه في شتى مناحي الحياة الانسانية.

تعدّدت المجتمعات واللغات بِتعدُّد الأجناس والأقوام، وكثُرت اللهجات وتنوّعت أساليب الحوار أثناء الكلام اليومي للأفراد وما اللغة إلّا وسيلة من وسائل التواصل الانساني التي تُجسد ظاهرة الحوار الذي يرافق كلام الأفراد أثناء تبادل الأفكار وفقا لما تتطلّبه ضروريات حياته. ولا يمكن للفرد أن يستغني عن الحوار لأنّه ضرورة إنسانية تقتضيها حياة الإنسان الواعية الهادفة ويجد الانسان نفسه محاطا بأشكال شتى من أدوات التواصل في حياته اليومية.

مفهوم الحوار:

اهتمّ الدارسون العرب القدامى بالحوار _ولو بشكل غير صريح_ وقد كان الحوار ممارسا من قبل النقاد العرب من خلال التعليق على الشعراء وإظهار الرأي وإبداء الموقف من الآخرين من خلال أشعارهم.

لغة: "الحوار بالضمّ وقد يُكسر، ولد الناقة ساعة تضعه أو إلى أن يفصل عن أمه ج: أحْورة وحيران وحوران والمحاورةُ والمحْورة: الجواب كالحرير كالحوير والحَوار وبالكسرة الحِيرة والحويْرَة مراجعة النطق وتحاوروا تراجعوا الكلام بينهم... والتحاور التجاوب"[1].

[1] – مجد الدين بن يعقوب، الفيروز آبادي، قاموس المحيط، تح: مجهد نعيم العرقسوسي، ط2، د. ت، ص381. مادة (حور)

ويرى الزمخشري في أساس البلاغة أنّ الحوار: "حاورته راجعته الكلام، وهو حسن الكلام وكلّمته فما ردّ على محورة، وما أحار جوابا أي ما رجع"[1]

أصل كلمة الحوار "والحُواروالحوار الأخيرة رديئة عند يعقوب: ولد الناقة من حين يوضع إلى أن يفطم ويفصل، فإذا فصل عن أمه فهو فصيل وقيل هو حوار ساعة تضعه أمه خاصّة.والجمع أحْوره وحِيران فيهما"[2].

وجاء في مفردات القرآن الراغب الأصفهاني: "والمحاورة الحوار المراد في الكلام ومنه التحاور"[3] كقوله تعالى: "والله يسمع تحاوُرَكُما" [سورة المجادلة الآية -1 -.

ويتّضح من ذلك أنّ الحوار يعني مراجعة النطق والكلام بين طرفين اثنين؛ أي أنّ المتكلمين يتبادلان الحوار في موضوع ما فيسأل أحدهما الآخر والآخر يجيبه، ولا يكون الحوار المتداول أسئلة وأجوبة فحسب بل يكون إخبارا وتوسعا في الكلام.

اصطلاحًا:

الحوار "طريقة من طرائق التعبير المختلفة... وهو من أهمّ الأساليب التي نعتمدها في حياتنا اليومية... لكونه وسيلة أساسية للتخاطب والتواصل"[4] ومن هنا يتبين لنا أن الحوار وسيلة من الوسائل التي تعمل على تحقيق التواصل والتخاطب، حيث أشار عبد المالك مرتاض في تعريفه: "اللغة المعترضةالتي تقع وسطا بين

---

[1]- أبو قاسم الزمخشري، جار الله بن عمر بن مُحَمَّد الخوارزمي، أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود، إشارات دفتر تبليغات الأمير، د. ط، د. ت، ص98.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، ص 1044، مادة (حور).

[3]- الراغب الأصفهاني، معجم ألفاظ القرآن، تح: صفوان عدنان داوودي، دمشق، دار العلم، دار الشامية، بيروت، ط2، 1933م، ص241.

[4]-عليأيت أوشن، ديداكتيك التعبير والتواصل (التقنيات والمجالات) دار أي فراقر للطباعة والنشر، الرباط المغرب، د. ط، 2010ص 61.

المناجاة ويجري الحوار بين شخصية وشخصية"[1]، كما يصطلح الحوار أيضا بأنّه "أسلوب من أساليب القصّ مثل الوصف والسرد"[2] ويرتبط الحوار كثيرا بالفنون السردية كالرواية والقصة والمسرحية وهو عنصر مهم في الرواية لأنّه يوهمنا بأننا نعيش واقع القصة المتخيلة. ويضيف فاتح عبد السلام: "الحوار الأدبي وإن بدا ظاهرا حوارا بين شخصين، فهو في حقيقة الأمر غير محصور في هذا المدى المنظور، وإنما يمر عابرا إلى المتلقي الذي يكون في مثابة الشخص الثالث غير المرئي بين هذين الشخصين المتحاورين"[3] ويعرّفه آخر: "الحوار أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر عن طريق السؤال والجواب بشرط وحدة الموضوع أو الهدف فيتبادلان النقاش حول أمر معين، وقد يصلان إلى نتيجة، وقد لا يُقنع أحدهما الآخر ولكن السامع يأخذ العبرة ويُكوّن موقفا لنفسه "[4].

وفي ضوء ما تقدّم، نستخلص أنّ الحوار اصطلاحا يعني إيصال الأفكار والمعارف إلى الآخرين وتبادلها من خلال الإقناع بالحجة بين الأطراف المتحاورة، والهدف في الأخير هو التفاهم والاتّفاق بينهم قدر الإمكان.

مفهوم البلاغة وامتداداتها:

لكل أُمّة معجزتها الخاصّة بها التي تتناسب مع حالة قومها، فمعجزة سيدنا موسى عليه السلام كانت الحية، ومعجزة سيدنا مُحَمَّد ﷺ القرآن الكريم، فمن المعروف أن العرب كانوا يتمتعون بالفصاحة، كما اشتهرت فنون الشعر والخطابة لديهم وكانت تقام أسواق ومناظرات شعرية مثل سوق عكاظ. وبنزول القرآن الكريم عرفت البشرية فنون البلاغة، وبعدها أخذ يتطور حتى عُرف كعلم له أصوله وقواعده، ويعدّ علم البلاغة واحد من أكثر العلوم العربية الممتعة والجميلة.

---

[1]– عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، دار الغرب والنشر والتوزيع وهران الجزائر 2005 ص 176.

[2]– مُحَمَّد القاضي ومجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، دار مُحَمَّد علي للنشر تونس، ط1، 2010، ص158

[3]– فاتح عبد السلام، الحوار القصصي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 1999، ص 14.

[4]– عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية في البثّ والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، دمشق، ط2، 2001، ص206.

تعريف البلاغة:

هو علم البلاغة، من أهمّ العلوم اللغوية التي تسعى إلى التعريف بالتراث اللغوي العربي قديما وحديثا، والبلاغة: علم يحتوي على أقسام وهي: علم المعاني، علم البديع، علم البيان، كما أنّ هذه الأقسام تحتوي على فروع كثيرة ومتعددة على غرار التشبيه، الاستعارة، أسلوب الخبر والإنشاء والطباق والجناس.

لغة:عندما تصفّحنا فحوى المعاجم القديمة والأصيلة وجدناها حوت تبيان الأصل والوضع اللغوي لهذه الكلمة، ونبدأ أولا بما جاء به صاحب معجم "لسان العرب" ابن منظور، حيث جعل كلمة البلاغة في مادة بَلَغَ: "بلغ الشيء بلوغا وبلاغا: وصل وانتهى وأبلغه إبلاغًا، وبلّغه تبليغًا، وقد ذكرهما الله سبحانه وتعالى في كتابه أيضا في قوله: إلا "الاستسقاء" واجعل ما أنزلت لنا قرة وبلاغا إلى حين" والبلاغ ما يتبلغ به، والإبلاغ هو الإيصال[1]"

وأمّا إذا ذهبنا إلى معجم مقاييس اللغة لابن فارس فنجدها في مادّة " الباء واللام والغين" أصل واحد وهو الوصول إلى الشيء ونقول:"بلغت المكان، إذا وصلت إليه"، والبلاغة هي التي يُمدح بها فصيح اللسان لأنه يُبلّغ بها ما يريد"[2]فالبلاغة هي الوصول والانتهاء .وأشار إليها أبو هلال العسكري بقوله: "البلاغة كل ما تبلّغ به المعنى قلب السامع فتمكّنه في نفسه كتمكّنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن[3]"

[1]– أبو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، المجلد رقم 15، ص419، مادة (بلغ)

[2]– أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002، ص 302/301.

[3]– أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح: علي مُحَمَّد اليجاوي ومُحَمَّد ابو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص16

بالإضافة إلى تعريف تمام حسان الذي يقول: "وعندي أن المعنى اللغوي للفظ البلاغة فرع كل معنى الإبلاغ أو التواصل الذي هو موضوع علم الاتصال"[1]

والبلاغة تبليغ في قوله تعالى: "هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنّما هو إله واحد وليذّكر أولوا الألباب" [سورة ابراهيم] الآية -52-

نستنتج ممّا سبق أنّ المعنى اللغوي للبلاغة يعني الوصول والانتهاء إلى الشيء، وذلك عندما نقول لهذا المتكلم كلامه فصيح، يعني قد وصل إلى غايته وهدفه، لذلك يطلق عليه كلاما بليغا.

اصطلاحا:وأشهر معنى الاصطلاح في المعاجم هو الفصاحة، وأكّد على تعريفه ابن منظور بقوله: " البلاغة: الفصاحة، والبَلَغُوالبِلْغْ: البليغ من الرجال، ورجل بليغ وبلغ: حسن الكلام فصحيه، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، والجمع: بلغاء، وهو بَلَغَ بلاغة، صار بليغا"[2].

وهذا هو المعنى العام لكلمة "البلاغة" فهي أولا الانتهاء والوصول، وثانيا الفصاحة وحسن القول، وقد جاءت في القرآن الكريم بهذين المعنيين، فمن المعنى الأوّل قوله تعالى: "ولَمَّا بَلَغَ أشدّه" [سورة القصص] الآية - 14 - وقوله: "وبَلَغَ أربعين سنة" [سوره الاحقاف] الآية -15 - وقوله: "وتحمل أثقالكم إلى بلدكم تكونوا بالغيه إلاّ بشقّ الأنفس" [سورة النحل] الآية -8- وهذا هو الوصول والانتهاء. أمّا المعنى الثاني فيبدو جليًّا في قوله تعالى: "فاعرض عنهم وعظمهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا" [سورة النساء] الآية – 6–

[1]- تمام حسن، المصطلح البلاغي في ضوء البلاغة الحديثة، مجلة فضول، المجموعة 7، د. ط، 1988، ص87.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، ص346

وأمّا أحمد بن فارس فأشار إليها بقوله: "البلاغة تعني الارتباط الوثيق بين الكلام وأجزائه وبين الحال والمقام الذين يقال فيهما هذا الكلام، والأساس الذي يقوم فيه الكلام وما يقتضيه ذلك الحال من خصوصيات في النظم والتركيب"[1] .

فلتحقيق المعنى البلاغي ينبغي أن يُراعى المقام الذي يُقال فيه الكلام، وعلى الخطيب أن يختار الكلام المناسب في المقام .

وعرّفها الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" بقوله: "كلّ من أفهمك حاجته من غير حبسة ولا استعانة فهو بليغ"[2].

من خلال قول الجاحظ نرى أنّه حصر مفهوم البلاغة في الإفهام، لأنّ البلاغة هي إيصال المعنى إلى قلب السامع وذلك من خلال التعبير الواضح الذي يفهمه المتلقي.

وأيضا: "وأحسن ما أجنيناه ودونّاه لا يكون الكلام يستحقّ اسم البلاغة حتى يسابق معنى لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك"[3].

فالبلاغة عند الجاحظ تكمن في دقّة اللفظ وحُسنه لأنّ التكامل بين اللفظ والمعنى يجعل كلامنا بليغا ومفهوما وبهذا يؤدّي إلى تأثّر المتلقي.

وأشار القزويني لتعريف البلاغة بقوله: "أنّ البلاغة في الكلام مطابقة لمقتضى الحال مع فصاحته"[4].

---

[1]- أحمد ابن فارس، البحث البلاغي، ص127.

[2]- أبي عثمان بحري بن عمر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام مُحَمَّد هارون، القاهرة، 1998، 113/1.

[3]- المرجع نفسه، ص115.

[4]- مُحَمَّد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه عبد الرحمان البرقوقي، دار الفكر العربي، ط2، 1904، ص 33

ويضيف أنّ الكلام له طبقات مختلفة ومتفاوتة، كما يشرح أيضا أنّ البلاغة هي صفة الكلام حسب حسنه، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب.

بلاغة الحوار

تُعرّف بلاغة الحوار بأنّها ما يقوم عليه الحوار في المناظرة من طاقة حجاجية لأنّ "أبرز ما يتجلّى فيه البعد التداولي للخطاب الحجاجي هو المستوى الحواري أو التحاوري، سواء كانت ذوات هذا التحاور مضمرة أو متعدّدة الأصوات والأمارات"[1] فيكون الحوار باعتباره حجاجا متحقّقا في مستوى علاقة المتكلّم بالمخاطب توجيها حجاجيا مائلا في أبنية اللغة واستراتيجيات الخطاب.

يعتبر الحجاج من أهمّ المفاهيم التداولية انشغالاً في الخطاب، ويتنوّع بتنوّع مجالاته ومرجعيات خطابه والمقام التواصلي الذي يندرج فيه إلى الحجاج اللساني، الحجاج المنطقي والحجاج البلاغي"[2] ويُقصد هنا بأنّ الحجاج الذي عالجته الدراسات اللسانية التداولية واهتمت بهو الحجاج اللساني الذي تبلور على الخصوص في أبحاث "أوزفالدديكرو" (Oswald Ducrot).

[1]– مُحَمَّد سالم مُحَمَّد الأمني، الحجاج في البلاغة المعاصرة (بحث في بلاغة النقد المعاصر)، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2008، ص177.

[2]– هاجر مدفن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي (بين نظرية البيان ونظرية البرلمان) مجلة الأثر، الجزائر2006 .، ص173

فالحجاج في نظره لم يعد نشاطا لسانيّا من بين الأنشطة الأخرى فحسب، ولكنّه أساس المعنى نفسه، وأساس تأويله في الخطاب باعتبار أنّ القوة الحجاجية ليست مُضافة إلى الملفوظ ولكنّها مُسجّلة في اللغةلوصفها أساس لكلّ دلالة"[1].

هذا، ويعدّ اللساني الفرنسي "أوزفالدديكرو" أوّل من أسّس لمنهج الذاتية في الحجاج سنة 1973 م، فقد اعتنى بوضع نظرية عبر الوسائل اللغوية وإمكانيات اللغات الطبيعية التي يتوافر عليها المتكلّم، وذلك قصد توجيه خطابه وجهة ما تتمكّنه من تحقيق بعض الأحداث الحجاجية، حيث أراد أن يُبيّن حقيقة أنّ اللغة تحمل بصفة ذاتية أو جوهرية وظيفة حجاجية، مرتكزا في هذا الأساس على تلك الفكرة السائدة التي مفادها أنّنا نتكلّم بعامة قصد التأثير"[2]، لأنّ الحجاج كفعل قولي يفرض على المخاطب نمطا معينا من النتائج بوصفه الاتّجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار. ومن هنا درس الخطاب الحجاجي وهو الذي تبرز فيه العناصر الحجاجية ووسائل الإقناع التي تقوّي رأي المحاجّ (المتكلم) وتسهم في إقناع المتلقي بالآراء والأفكار التي تتضمّنها العملية التواصلية.

والبلاغة هي المعرفة باللغة أثناء استعمالها، وبعبارة أخرى هي "فنّ القول"، ويشمل هذا التعريف مجالين واسعين يُمكن أن تستند إليهما مفاهيم أساسيّة في اللسانيّات التداوليّة.

الأوّل:الفنّ، وهو كلّ ما يرتبط بالذوق والإستخدام الشخصي للّغة.

الثاني:القول، ويشمل الأداء الفعلي للّغة[3].

[1]– صابر حباشة، التداولية والحجاج. مداخل ونصوص، صفحات الدراسات والنشر، دمشق ، ط1، 2008، ص8

[2]– ينظر: المتشابهات الفلسفية لفلسفة الفعل عند فتحشين مُحَمَّد مجديالحريري، دار أنور للتوزيع، د. ط، ص23.

[3]– د. خليفة بوحايدي، نحو منظور تداولي لدراسة البلاغة العربيّة، مشروع لربط البلاغة بالاتّصال، سطيف، الجزائر، ص3.

وعليه، فإنّ الفنّ يُقابل آثار المتكلّمين على كلامهم وكيف للمُتكلّم أن يُعدّل من موقف سامعه وهو مجال التداوليّة الأوسع الذي حدّده "بيرس"، والذي سنُفصّل فيه في المبحث التالي، وأمّا بالنسبة للقول فهو يحمل معنى اللغة في واقع استعمالها.

تُعنبر البلاغة وسيلة من وسائل الاِتّصال انطلاقًا من أنّ البلاغة "إبلاغ". يقول تمام حسن: "وعندي أنّ المعنى اللغوي للفظ البلاغة فرع على معنى "الإبلاغ" أو التواصل الذي هو موضوع من مواضيع علم الاتّصال"[1]، وقد ركّزَت البلاغة بشكل خاصّ على الصورة الفنيّة ومركباتها، والمحسّنات البديعيّة وأنواعها فإنّ هذا التركيز يُشكّل محورًا أساسيًّا في فهم النصّ الأدبي وتحليل عناصره الأساسيّة[2].

للسكاكي فضل في تهذيب مسائل البلاغة العربية وترتيب أبوابها، لقد كانت صيغته في الدرس البلاغي "أقرب الصيغ إلى روح العلم، وأجدرها بأن تكون طرفًا في علاقة الحوار بين التراث البلاغي والأسلوبيّات اللسانيّة المعاصرة"[3]، بمعنى أنّ الدراسات التراثية للبلاغة أو البلاغة القديمة بمثابة الدراسات المعاصرة بالأسلوبيّة ويُقصد بأنّ البلاغة العربيّة القديمة هي الأسلوبيّة المعاصرة.

كان تأثير كتاب الله تعالى واضحًا في اتّخاذ مدار الدراسات البلاغية، وكانت آياته الشاهد البلاغي الرفيع، لذلك انتهى الكثير من الباحثين القُدامى إلى أنّ ثمرة علم البلاغة تكمن في فهم الإعجاز من القرآن لابن

[1]– تمام حسن، المصطلح البلاغي القديم في صوغ البلاغة الحديثة، مجلّة فصول، 1978، ص78.

[2]– ميس خليل مُحَمَّد عودة، تأصيل الأسلوبية في الموروث النقدي والبلاغي، كتاب مفتاح العلوم للسكاكي نموذجًا، جامعة الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابليس، فلسطين، 2006م، ص43.

[3]– مصلوح سعد عبد العزيز، في بلاغة لغربية والأسلوبيّات اللسانية، آفاق جديدة، مجلس النشر العلمي، الكويت، 2003، ص3.

إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال، منطوقة ومفهومة، وهي أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختصّ بالألفاظ في انتقائها وجودة وصفها، وهذا هو الإعجاز الذيتقصرالإفهام في إدراكه"[1].

وعليه، فإنّ البلاغة تظهر في القرآن الكريم، وتحديدها أصبح أصعب لكنّ الباحثين لم يقفوا عند هذا، إنّما مضوا يلتمسون بلاغة الكتاب ويُبيّنون إعجازه، فكانت دراستهم أحسن مصدر للبلاغة لمن أراد أن يتذوّق القرآن ويفهم البيان، ومن أهمّ كُتب الإعجاز "إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه" لابن عبد الله مُحَمَّد بن يزيد الواسطي (302هـ)، ورسالة "النّكت في إعجاز القرآن" لابن الحسن علي بن عيسى الرمان (312هـ)، حيث قسّم البلاغة، ومن بين أقسامها: التشبيه والاستعارة، وتُعتبر هذه الرسالة أقدم كتب الإعجاز التي تحدّثت عن فنون البلاغة وحدّدت معانيها واعتمدها المتأخّرون في كثير من مسائلهم البلاغيّة.

تُعدّ البلاغة آليّة من آليّات الحجاج، ذلك لاعتمادها على التأثير عن طريق الحجاج بالصور البيانيّة والأساليب الجمالية، أي: إقناع المتلقّي عن طريق إشباع فكره ومشاعره معًا، حتّى يتقبّل القضيّة أو الفعل موضوع الخطاب، ويصف أرسطو البلاغة القديمة بأنّها فنّ الإقناع وليست البلاغة العربيّة القديمة وحدها التي أضفت طابع الأدبيّة على الحجاج البلاغي فحسب، بل حتّى صاحب النظريّة البلاغيّة الجديدة "بيرمان" الذي ذهب إلى القول بأنّه "لا يوجد أدب بدون بلاغة"[2].

لكن على اعتبار هذا المصطلح –البلاغة– فنًّا لتعبير لخيارته أدوات تفقد فعاليّتها بقدر تلقّيها، كونها مُجرّد إجراءات بلاغيّة تمنح القيمةالبرهانيّة حصانة من الهدر، كما تمنح منتج الخطاب الإيحاد القوي عن نفسه وعن الأشياء، ويُقدّم لهما صورة لا تحمل المستمع على الفصل بين الإجراء والواقع.

[1]– أحمد مطلوب، بحوث بلاغيّة، بغداد، 1944، ص8– 9. بتصرف

[2]– حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص108.

وما دامت البلاغة إجراء يُضاف إلى الحجّة لتُشكّل بذلك الحجاج البلاغي، فهذا لا ينحصر على النصّ الأدبي وحده فحسب، بل ينسحب على جلّ أنشطة اللغة والقول إلى الخطابات اليوميّة العاديّة، وفي هذا يقول "ماير" (Mayer): "إنّ كلّ شيء قد أضحى (توصّلًا)، من الصداقة إلى الحبّ، ومن السيّاسة إلى الاقتصاد. حيث نجد العلاقة تُقام وتُفسَخ بناءً على فشل أو نجاح البلاغة"[1].

وإذا كن كلّ خطاب تواصل، وكلّ تواصل يقوم على البلاغة، فإنّ كلّ حجاج بلاغة ووراء كلّ بلاغة حجاج، وهكذا فإنّ البلاغة تحقيق التّأثير والإقناع.

ماهية الدراسة التداولية والحجاجية:

ماهية الدراسة التداوليّة:

تُعدّ التداوليّة درسًا وفيرًا وجديدًا في حقل الدراسات اللسانيّة، فهي تختصّ بدراسة استعمال اللغة في سياق مُعيّن، وتهتمّ أيضًا بالمعنى وببعض الأشكال اللسانيّة التي لا يتحدّد معناها إلّا من خلال استعمالها، وأضحت الدراسات في مجال التداوليّة مسار اهتمام العديد من النقّاد والدارسين في مُختلف تخصّصات المعرفة، خاصّة التواصليّة منها، باعتبار أنّ التداوليّة نحتاجها في معظم المعارف الإنسانيّة، بدْءًا من علم الاجتماع إلى علم النفس وعلم الاتّصال والنقد الأدبي والبلاغة والسيميائيّات وتحليل الخطاب واللسانيات.

تُشكّل التداوليّة درسًا خصبًا غزيرًا لم يُستهلك بعد، له حدود واضحة، انبثق من التفكير الفلسفي في اللغة، بيد أنّه سُرعان ما تجاوزه ليعمل على صقل أدوات تحليليّة، خاصّة التداوليّة اللسانيّة باعتباره موضوعًا حديثًا.

[1]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النصّ، ص80.

اللسانيّات التداوليّة اسم جديد لطريقة قديمة في التفكير، بدأت على يد "سقراط" ثمّ تبعه "أرسطو"، غير أنّها لم تظهر إلى الوجود على أساس أنّها نظريّة للفلسفة إلّا على يد "بارعلي"، وتُغذّيها مجموعة من العلوم على رأسها: الفلسفة، اللسانيات، الأنثروبولوجيا، علم النفس وعلم الاجتماع"[1].

لم تُصبح التداوليّة مجالًا يُعتمد عليه في الدرس المعاصر إلّا في السابع من القرن العشرين، بعد أن قام ثلاثة من فلاسفة اللغة _المنتمية إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد_ على تطويرها ("أوستين"، "سيرل" و"غرايس").

وقد كانت بداية تطوّر اللسانيّات التداوليّة بنظريّة أفعال الكلام التي ظهرت مع "جون أوستين" وتطوّرت على يد "جون سيرل". كذلك اختصّت التداوليّ بدراسة أربع مجالات هي:

- دراسة المعنى الذي يقصده المتكلّم.
- دراسة المعنى السياقي.
- دراسة كيفيّة إيصال أكثر ممّا يُقال.
- دراسة التعبير.

ومصطلح التداوليّة بمفهومه الحديث يعود إلى الفيلسوف الأمريكي "تشارلز موريس" الذي استخدمه سنة 1938، دالّا على فرع من فروع علم العلامات، وهذه الفروع هي[2]: علم التراكيب*، علم الدلالة** والتداوليّة***.

---

[1]- نعمان بوقرة، اللسانيات العامّة اتّجاهاتها وقضاياها الراهنة، علم المكتبة الحديثة، الأردن، ط3، 2009، ص163.

[2]- ينظر: آن روبول وجاك موشالر، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومُحَمَّد السيباتي، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط1، 2003، ص23.

*-يدرس العلاقات بين العلامات، حيث يقتصر هنا على حدود الجملة فقط دون النظر في سياقاتها.

**-يهتمّ بالعلاقات بين العلامات والأشياء؛ أي بين الدال والمدلول.

***-يدخل هذا المستوى بعد قصور المستوى الأوّل والثاني عن معالجة كلّ مشاكل اللغة، خاصّة الجانب التواصلي، لتدرس علاقة العلامات بمُستخدميها.

فالتداولية في دراسة المنجز اللغوي أثناء الاستعمال مع مُراعاة الظروف المحيطة به، وتهتمّ بمقصديّة المتكلّم؛ أي المعنى الذي يُحيل إليه اللفظ، ومعنى ذلك أنّ لكلّ مقام مقال"[1].

ومن هنا فاللسانيات التداوليّة من أحدث الإتّجاهات اللغويّة التي ظهرت وإزدهرت على ساحة الدرس اللساني الحديث والمعاصر، فهي كما يعرّفها الكثير دراسة اللغة أثناء الاستعمال، تهتمّ بدراسة مستويات اللغة وإجراءاتها الداخليّة، وكذا وصف وتفسير النظام اللغوي، ودراسة الملكة اللسانيّة المتحكّمة فيه (جانب توليدي) فالتداولية إذًا علم تواصلي جديد، يُعالج ظواهر اللغة ويُساهم في حلّ مشاكل التواصل.

ماهية حجاجيّة:

يُعدّ التواصل أساس الوجود الإنساني، داعمًا أثناء تواصل مع غيره التأثير في أفكار المخاطب ومواقفه بتوظيف وآليّات مختلفة، وهذا ما اصطلح عليه الباحثون بفعل الحجاج.

ولقد عني الباحثون بموضوع الحجاج واهتمّوا بدوره في العملية التخاطبية، كما قدّموا العديد من المفاهيم التي تُبنى عن الخلفية المعرفية المعتمدة عند كلّ باحث. وأهميّة الحجاج تعود إلى جانبين هما: البيان والحجاج كوسيلتين أساسيّتين في وسائل الإقناع، ولا شكّ أنّ الدراسات الحديثة _على الصعيد اللساني_ كانت مدعاة للبحث وتفعيل نظريّة الحجاج وإعادة بنائها، لأنّها أصبحت من أهمّ آليّات التبليغ والتواصل الذي يُعدّ أساس الوجود الإنساني، إذ يسعى الانسان دائمًا أثناء تواصله إلى التأثير في أفكار المخاطب ومواقفه.

وعليه، فالحجاج "جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة، وهي حِمل المتلقي على الإقناع بما تعرضه عليه، أو الزيادة في حجم هذا الإقناع"[1].

[1]– يُنظر: بهاء الدين مُحَمَّد مزيد، تبسيط التداولية، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010، ص18.

تعدّدت زوايا النظر إلى الحجاج على حسب اختلاف نظر الدارسين له، فالبلاغة التقليديّة نظرت إليه "كمُكوّن من مُكوِّنات الخطاب، ويتشكّل بتشكّلهوتتغيّر وظائفه وطرقه الاستدلاليّة بتغيّره"[2].

فالحجاج يكتسي أهميّة بالغة في الدرس التراثي العربي، ويتحقّق في الخطابات التي تهدف للإقناع، وغرضه التأثير في المتلقّي أو إرغامه على الامتثال لأمر ما والتسليم به، وهو بهذا يؤسّس للدّفاع عن الأفكار المعروضة من طرف المتكلِّم، فالحجاج يعتمد أساسًا على مرسِل ومرسل إليه، حيث أنّ الدور الكبير في هذه العمليّة يعود إلى المرسِل نظرًا لما يبذله من جهد ذهني.

فالحجاج من أهمّ المواضيع التي تناولها التراثيّون بالدرس والتمحيص، إذ يقوم على مجموعة من التقنيّات والآليّات الخطابيّة التي توجّه إلى المتلقّي.

التعريف بكتاب ابن غانم المقدسي:

يُعدّ كتاب "كشف الأسرار" من الكتب الأدبيّة الوعظيّةالممتعة جدًّا، وهو عبارة عن مُحاورات نثريّة شعريّة بين الطيور والأزهار. أين يدعو ابن غانم المقدسي إلى النظر والتفكير في خلق السماوات والأرض، ويستنطق فيه الورد والزهر والريحان وسائر أنواع الحيوانات، ويخلص في نهاية كلّ إشارة إلى إزجاءالنصيحة والإرشاد (مكارم الأخلاق بطريقة غير مباشرة اطّلع المؤلّف على التراث)، وما حفل به من حكمة وما تضمّنه من رموز وإشارات، كما كشف عن مقصوده من تأليف هذا الكتاب في قوله: وقد وضعت كتابي هذا مُترجمًا كما استقته من الحيوانات برمزه والجماد بغمزه، وما خاطبتني به الأزهار عن حالها والأطيار عنمقرّهاوارتحالها، وجعلته موعظة لأهل الاعتبار وتذكرة للندوي الاستبصار.

---

[1]– سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني هجري، وبنية أسلوبه، د. ط، 1981، 21/1.

[2]– مُحَمَّد طروس، النظريّة الحجاجيّة من خلال الدراسات البلاغية والمنطقيّة واللسانيّة، دار الثقافة، المغرب، ط1، 2005، ص14.

ابن غانم المقدسي هو عبد السلام بن أحمد بن غانم بن علي بن إبراهيم بن عساكر بن حسين عز الدين أحمد الأنصاري الشافعي المقدسي، اشتُهر بابن غانم المقدسي، ولُقِّب بعزّ الدين، وكُنّ بأبي محمّد حكيم صوفي واعظ، ونشأ في القدس، في بيت مشهور بالتُّقى والصلاح وطلب العلم، فجدّه الشيخ غانم بن علي المقدسي زكان قدوة وسيّدًا من سادة المشايخ، وأبوه هو الشيخ أحمد بن غانم أبو العباس الأنصاري المقدسي، كان شيخًا جليلًا مُنقطعًا عن الناس"[1].

وُلد بن غانم المقدسي سنة تسعمائة وعشرين من الهجرة في القاهرة (920هـ_ 1004م/ 1514هـ_ 1097م)، من ولد سعد بن عبادة الخزرجي، نور الدين بن غانم، وهو أحد أكابر الحنيفة في عصره، أصله من بيت المقدس، تفوّق في كلّ فنّ من الفنون وبالجملة والتفصيل، كان أعلم علماء ذلك التاريخ وأكثرهم تبحّرًا، وكانت وفاته سنة أربعة وألف من الهجرة في القاهرة.

وأمّا شعره فقد نحا فيه منحى الوعظ والإرشاد وتهذيب النفس والزهد في الدنيا والترغيب في الآخرة ونعيمها، وشعره سهل وواضح، خالٍ من الغريب الحوشيّ.

ويتجلّى أسلوب ابن غانم المقدسي في بعض الإشارات التي استخدمها، والتي يصل بها أرجاء النصيحة والوصول بها إلى مكارم الأخلاق، ومن هذه الإرشادات إشارة النسيم والورود...

كتاب "كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، منالمصنّفات الأدبية الرائعة، إذ فيه صاحب أسلوب المجاز والكناية، لِبَثّ الوعظ بين الناس، وحثّهم على التحلّي بمكارم الأخلاق، واطْلاعهم على معاني القوم وتجليّاتهم الإحسانيّة، يقول ابن غانم رحمه الله: "فلوصفت عين بصيرتك، وانجلت مرأة سريرتك، وأصغيت بسمع

[1]– عز الدين بن عبد السلام بن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، حقّقه وعلّق عليه: عبد الوهاب مُحَمَّد، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، ص9.

يقظتك، لأسمعك كلّ شيء، موجود ما يجده من مُنتقدات وجْده، وما يُكابده من وجدان بعده، ألم تسمع للنسيم كيف تنسَّم أسفًا لبكاء السحاب على جزره ومدِّه، وتأوّه لهفًا على تبسّم البرق لما سمع قهقهة رعده"[1]

وقد وضع ابن غانم المقدسي كتابه هذا مُترجَمًا لكلّ ما استفاده من الحيوانات بكلّ رموزه، ومُخاطبته الأزهار والطيور، وجعْله موعظة لأهل الاِعتبار.

[1]– عز الدين بن عبد السلام بن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، حقّقه وعلّق عليه: عبد الوهاب مُحَمَّد، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، ص41– 42.

الفصل الأول

تحليل تداولي لكتاب "كشف الأسرار في حِكم الطيور والأزهار"

- ✓ **المبحث الأوّل: نشأة التداوليّة وتطوّرها**

- ✓ **المبحث الثاني: الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي**
  - ➢ **أوّلًا:** تعريف الخبر
  - ➢ **ثانيًا:** مؤكّداته
  - ➢ **ثالثًا:** أضربه
- ✓ **المبحث الثالث: الأسلوب الإنشائي**
  - ➢ **أوّلًا:** تعريف الإنشاء
  - ➢ **ثانيًا:** أنواعه (طلبي/ غير طلبي)
  - ➢ **ثالثًا:** صيغه
- ✓ **المبحث الرابع: الأفعال المباشرة وغير المباشرة**

التداولية من أهمّ المفاهيم الحديثة التي شدّت انتباه الباحثين والدارسين، واستُعمِل المصطلح في مجال الدراسات القانونية في فرنسا خلال القرون الوسطى ابتداءً من القرن السابع عشر (17)، وانتقل استعماله إلى الميدان العلمي فصارت تعي كلّ بحث أو اكتشاف من شأنه أن يُفضي على تطبيقات عمليّة ذات فائدة[1].

I. نشأة التداوليّة وتطوّرها:

اللسانيات التداولية إِسم جديد لطريقة قديمة في التفكير، بدأت على يد "سقراط" ثمّ تبعه "أرسطو" والرواقيون من بعدهن بيد أنّها لم تظهر إلى الوجود بِاعتبارها نظريّة للفلسفة إلّا على يد "باركلي"، تُغذّيها طائفة من العلوم على رأسها "الفلسفة واللسانيّات والأنثروبولوجيا وعلم النفس وعلم الاِجتماع"[2].

أيقن "كارناب" أنّ التداوليّة درس غزير وجديد، بل إنّها قاعدة اللسانيّات التي تحاول البحث عن حلّ العديد من الأسئلة المطروحة في البحث العلمي، والتي لم تُجب عليها مناهج أخرى، وحسب رأي "ليتش" فإنّها عملت على حلّ بعض المشكلات من وجهة نظر المرسل والرسل إليه، كلاهما يُحاولان الوصول إلى مقصد مُعيّن وواضح"[3].

لم تصبح التداوليّة مجالًا يُعتدّ به في الدرس اللغوي المعاصر إلّا في العقد السابع من القرن العشرين، بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد (أوستين، سيرل

[1]- ينظر: الطاهر لوصيف، التداولية اللسانية، مُلتقى علم النصّ، مجلّة اللغة والأدب، قسم اللغة العربيّة وآدابها، الجزائر، العدد 12، 2006، ص76.

[2]- نعمان بوقرة، اللسانيات العامة اتّجاهاتها وقضاياها الراهنة، علم المكتبة الحديثة، أربد، الأردن، ط1، 2009، ص136.

[3]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة، دار الكتب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص23- 24.

وغرايس)، وقد كان هؤلاء الثلاثة من مدرسة فلسفة اللغة الطبيعيّة، وكانت بداية تطوّر اللسانيّات التداوليّة بنظريّة أفعال الكلام التي ظهرت مع "جون أوستين" وتطوّرت على يد "جون سيرل" وبعض فلاسفة اللغة من بعده، لتظهر بعدها جملة من المفاهيم والنظريات التي تُشكّل مجتمعة ما يعرف باللسانيات التداولية، (أفعال الكلام والاستلزام التخاطبي، والإرشاديان والحجاج والقصديّة)[1]، وانطلق "أوستين" من ملاحظة بسيطة، مفادها أنّ الكثير من الجمل التي لا يمكن أن نحكم عليها بالصدق أو الكذب، لا تستعمل لوصف الواقع بل لتغييره، فهي لا تقول شيئًا عن حالة الكون الراهنة، إنّما تغيّرها أو تسعى إلى تغييرها، فجملة من قبيل: آمرك بالصمت لا تصف واقعًا، بل تسعى لتغيير حالة الضجيج إلى الصمت"[2].

وبناءً على هذه الملاحظات قسّم "أوستين" الجمل إلى جمل وصفيّة، يُمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، وجمل إنشائيّة لا ينطبق عليها ذلك الحكم، وتقابل في الثقافة اللغوية العربية الجمل الخبرية، والجمل الإنشائيّة مثلما نجدها عند علماء النحو والبلاغة وكذا علماء التفسير وأصول اللغة في أبحاثهم"[3].كلّل عمل مُتضمّن في القول بالنجاح. فيُميّز بين القواعد التحضيريّة ذات الصلة بمقام التواصل، وقاعدة المحتوى القضوي (يقتضي الوعد من القائل أن يُسند إلى نفسه إنجاز عمل في المستقبل)، والقواعد الأوليّة المتعلّقة باعتقادات تمثّل خلفيّة (يتمنّى من تلفّظ بأمر أن ينجز العمل الذي أمر به)، وقاعدة النزاهة ذات الصلة بالحالة الذهنيّة للقائل (ينبغي عليه أن يكون عند الإثبات أو الوعد)، والقاعدة الجوهريّة التي تُحدّد نوع العهد الذي قدّمه أحد المخاطبين (يقتضي الوعد أو التقرير اِلتزام القائل بخصوص مقاصده أو اِعتقاداته) وقواعد المقصد والمواضعة التي تحدّد

[1]- ينظر محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندر، تر: د. ط، 2002، ص9.

[2]- آن روبرل جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين الجامعية، الاسكندر، د. ط، 2002، ص9.

[3]- باديس لهويمل، التداولية والبلاغة العربية، ص160.

مقاصد المتكلّم والكيفيّة التي يُنفِّذ بها هذه المقاصد بفضل الموضوعات اللغوية، ومكّن هذا "سيرل" من تقديم تصنيف جديد للأعمال اللغويّة[1].

نشأت التداوليّة في أحضان الفلسفة التحليليّة التي تتفرّع إلى ثلاثة اتّجاهات هي: الظاهرة اللغويّة، فلسفة اللغة العاديّة والمنظقيّة، وما يُمثِّل صميم الدرس التداولي هو فلسفة اللغة العادية التي اِنبثقت منها نظريّة الأفعال الكلاميّة، وهو ما يُمثّل أهمّ بُعد للتداوليّة، والتي مثّلها الفيلسوف الألماني "فريجه" الذي "فصل بين اللغة العلميّة واللغة العاديّة"، فاللغة العادية هي لغة الأدب والتواصل، في حين تبقى لغة العلميّة لغة الحساب والمنطق، بالإضافة إلى الفيلسوف النمساوي "فيتجنتشاين" الذي يُعتبَر من الفلاسفة الذين نظروا إلى الجانب الاستعمالي للّغة، وذلك من خلال فكرته "الألعاب اللغويّة" التي تدرس الاِستخدامات المختلفة للجملة الواحدة، فاللعبة اللغويّة في نظره شكلٌ من أشكال الحياة؛ أي أنّه لا توجد طريقة واحدة لاِستخدام جملة ما، بل ثمّة عدد لا حصر له من الطرق كالأمر والوصف[2].

وقد ظهرت البراغماتية على يد "بيرس" من خلال أعماله في مفهوم الفعل اللغوي في مقاله "كيف نجعل أفكارنا واضحة" الذي نشره سنة 1878 وأيضًا مقال تأثير الأفكار في الأفعال "حيث عالج فيه مفهوم الأفعال في سبع مقالات بعنوان "محاضرات في البراغماتي" ربط فيها بين البراغماتيّة والظواهر الوجوديّة، وبيّن أنّ

[1]– مُحَمَّد محمود السيد أبو حسين، الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الفكر العربي، مصر، د. ط، 2010، ص08.

[2]– نعمان بوقرة، المصطلحات الأساس في لسانيات النص وتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث، أربد، ط3، 2009، ص91.

المعيار الحقيقي للمعنى يُشير إلى القصد لا إلى الفعل"[1]، وهذا يؤدّي إلى فكرة "فتجشتاين" القائلة بأنّ المعنى لا يتّسم بالثبات، وإنّما مُتغيّر بتغيّر السياق الذي يُبيّن قصد ونيّة المتكلّم.

و"تشالز موريس" الذي ميّز في مقال له بين مُختلف الإختصاصات التي تُعالج اللغة، حيث إعتنى بتحديد الإطار العام لعلم العلامات أو السيميائيّات من خلال تمييزه بين ثلاثة فروع هي:

- **التركيب:** يهتمّ بدراسة العلاقات الشكليّة بين العلامات في حدود الجملة.
- **الدلالة:** تعني بدراسة علاقة العلامات بالأشياء التي تؤول إليها في الواقع.
- **التداوليّة:** وهي دراسة علاقة العلامات، بمُستعمليها ومؤوّليها وبظروف استعمالها وبآثار الإستعمال على البنى اللغويّة[2].

هذا التمييز الثلاثي لعلم العلامات، حظي أيضًا من طرف "رودولف كارناب" الذي قال: "إذا وضعنا في بحث إشارة واضحة إلى المتكلّم أو مُستعمل اللغة بصفة عامّة، فإنّنا ننسب هذا البحث إلى مجال علم الإستعمال، وإذا ضرفنا الانتباه عن مستعمل اللغة وحلّلنا فقط التعبيرات ودلالتها، فإنّنا نكون في مجال علم الدلالة، وأخيرًا، إذا صرفنا الإنتباه عن الدلالات أيضًا وحلّلنا فقط العلاقات بين التعبيرات، فإنّنا نكون في مجال النحو المنطقي، ويُسمّى علم اللغة الكامل الذي يتألّف من الأجزاء الثلاثة (الدلالة، التداولية، التركيب)[3].

[1]- ينظر: محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2013، ص28.

[2]- ينظر: أوزو الدوجان مار سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: د. منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط3، 2003، ص196.

[3]- ينظر: صلاح إسماعيل، نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص77.

والتفسير الأوسع للتداولية هو "أنّها دراسة الفعل الإنساني القصدي، وعليه فإنّها تنطوي على تفسير أفعال يفترض بها لإنجاز غرض مُعيّن، وبناءً على هذا، ينبغي على المفاهيم المركزيّة في التداولية أن تتضمّن اعتقادًا وقصْدًا وخُطّة وفعلًا، فإذا اِفترضنا أنّ الوسائل والغايات تنطوي على التواصل، فإنّ التداوليّة تستأثر لتشتمل على وسائل التواصل جميعها"[1]، ويضرب جورج بول مثلًا عن ذلك بالتواصل الحاصل بين السبّاح ورجل الإنقاذ.

هذا، وقد اِنتقلت التداوليّة بمفاهيمها الغربية للفكر العربي، وكان أوّل ظهور لمصطلح "التداولية" وانتشاره بين الدارسين يعود الفضل في وضعه للأستاذ والمنطقي والفيلسوف المغربي "طه عبد الرحمان" وذلك سنة 1970.[2]

حيث قام بوضع مصطلح "Pragmatique" كمقابل أجنبي لمصطلح "التداولية"، وتتجلّى ملامح البحث التداولي عنده من خلال اِهتمامه بالكلام والعمليّة التخاطبيّة ككلّ، ويرى أنّ التخاطب يتمّ بين طرفين يتبادلان اقوال مُعيّنة بهدف وصول كلّ منهما إلى هدفه ألا وهو "التبليغ"، إذ يقول: "ولما كان التخاطب يقتضي إشراك جانبين عاقلين في إلقاء الأقوال وإتيان الأفعال، لزم أن تنضبط هذه الأقوال بقواعد تُحدّد وجوه فائدتها الإخباريّة أو قل "فائدتها التواصليّة" نُسمّيها بقواعد التبليغ، علمًا أنّ مصطلح "التبليغ" موضوع للدلالة على التواصل الخاصّ بالانسان"[3].

ومن هنا، يرى طه عبد الرحمان أنّ المجال التداولي نوع من التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامّة الناس وخاصّتهم، وأنّ أسباب التواصل عنده ثلاثة، وهي الأسباب اللغوية، الأسباب العقدية، والأسباب المعرفيّة.

[1]– جورج بول، التداولية، تر: قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، ط3، 2010، ص137.

[2]– ينظر: د. ادريس مقبول، الأسس الابستمولوجيّة والتداوليّة للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2007، ص262.

[3]– طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط3، 1996، ص237.

وعُرِفت البلاغة بأنّها فنّ الإقناع، حيث تهتمّ ببنية القول للوصول إلى النتائج، فالبلاغة هي الإبلاغ والوصول إلى موضوع الاِتّصال، يقول أبو هلال العسكري: "البلاغة كلّ ما تبلّغ به عن المعنى قلب السامع، فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن"[1].

ويُمثّل البيان المحور الرئيسي للجمع بين المجالين البلاغي والتداولي، حيث يُشير إلى هذه القضيّة الجاحظ بقوله: "اسم جامع لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنًا ما كان ذلك البيان، ومن أيّ جنس كان الدليل، لأنّ مدار الأمر والغاية التي تجري إليها القائل والسامع، وإنّما هو الفهم والإفهام، فبأيّ شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع"[2].

فالبيان عند الجاحظ هو "القدرة على الإبانة والكشف عمّا في النفس، والإفصاح عمّا في الضمير بطريق اللسان والألفاظ، ومن هنا يتحقّق غرض الفهم والإفهام الذي يرتبط في الأصل بالمتكلّم ودوره في توضيح ما خفي من معاني للسامع"[3].

كما تحدّث الجاحظ عن العلاقة القائمة بين العلامات ومنشئها ومستعمليها، وتتجلّى العلاقة بين العلامات والتداوليّة، إذ يقول في هذا الصدد: "أضاف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد، أوّلها اللفظ، ثمّ الإشارة، ثمّ العقد، ثمّ الحال والتي تسمّى نصبة، والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم

[1]- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، تح: علي مُحَمَّد البجاوي ومُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط2، د. ت، ص237.

[2]- أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ)، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي، مصر، د. ط، 1975، 3/ 76.

[3]- فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغيّة عند الجاحظ في البيان والتبيين، مكتبة الأنجو المصرية، القاهرة، 2005، ص122.

مقام تلك الأصناف ولا تقتصر عن تلك الدلالات، ولكلّ واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صور صاحبتها وحلية مخالف لحلية أختها..."[1].

من خلال هذا النصّ، يبدو أنّ الجاحظ كان دقيقًا في تمييزه هذه الأدلّة عن بعضها، من خلال أهميّة كلّ صنف في الحياة التواصليّة الانسانيّة، حيث ميّز الجاحظ بين هذه الأصناف الخمسة للدّلالة بحسب لأهميّة كلّ صنف ودوره، وهو إذ يعدّد أصناف الدلالة بعددها في معرض إحصاء وسائل الفهم والإبانة، عمّا في النفس أيًّا كانت هذه الوسيلة"[2].

وإلى جانب الجاحظ نجد أبو يعقوب السكاكي الذي لا تختلف آراءه عن آراء الجاحظ السابقة، فقد بَدَتْ ملامح الاِتّجاه التداولي في أعماله، ويظهر ذلك من خلال اهتمامه بعناصر العملية التواصلية وربطها بمقتضى الحال، وبالمتكلّم ودوره في عمليّة التبليغ وبوضعيّة السامع وطريقة تلقّيه للخطاب، حيث يرى السكاكي أنّه لكلّ من هذين الطرفين (المتكلّم/ المتلقّي) دور فعّال في تحديد المقصد وتبليغه وفهمه، فقد يكون المتلقّي خالي الذهن تمامًا أو متردّدًا في الحكم، أو مُنكرًا له، وقد يخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، فيجعل غير السائل وهو خالي الذهن كالسائل، وقد يجعل غير المنكر كالمنكر، وقد يجعل المنكر كغير المنكر، مُنبّهًا في الوقت ذاته على ضرورة مُراعاة المقاصد وعلاقته بالمتلقّي ووجوب الالتفات إلى أغراض الخطاب"[3] ومن خلال هذا النص، يرى السكاكي أنّ أوضاع غير لسانية تؤطّر الفعل التبليغي وعمليّة التلقّي.

[1]– الجاحظ، البيان والتبيين، 76/1.

[2]– المقاييس البلاغية عند الجاحظ، البيان والتبيين، ص124.

[3]– نعمان بوقرة، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية، قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدوّنة اللسانية التراثية، مجلّة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، 2006، العدد 17، ص180.

1) درجات التداوليّة:

يعود هذا الاِصطلاح إلى الهولندي هانسون (Hanson)[1] حيث صنّف مختلف الاِتّجاهات التداوليّة اِعتمادًا على تشغيلها لمصطلح "السياق" وجعلها ثلاث درجات:

أ. **تداولية الدرجة الأولى:** تهتمّ بدراسة الرموز الإشاريّة (أنا، الآن، هنا)، التي تتجلى في الملفوظات وتتّضح مرجعيّتها في سياق الحديث الذي يُحدّد إحالتها، وتتحدّد بشكل جليّ في العلاقات القائمة بين المتخاطبين وظروف الزمان والمكان.

ب. **تداوليّة الدرجة الثانية:** وتظهر بشكل جليّ عند المهتمّين بدراسة وقع الخطاب على المتكلّم والسامع، وتدرس الدلالة الضمنيّة للملفوظ بتجاوز المعنى العرفي إلى التواصلي، وعلى كلّ، يتمّ في هذه الدرجة دراسة معرفة انتقال الدلالة من المستوى الصريح إلى المستوى التلميحي، ودراسة قوانين الخطاب، مبادئ المحادثة، وما ينتج عنها من ظواهر خطابيّة كالافتراض المسبق والأقوال المضمرة والحجاج والسياق في هذا المستوى مجمل المعلومات والمعتقدات التي يشترك فيها المتخاطبون.

ج. **تداولية الدرجة الثالثة:** وتتمثّل في نظريّة أفعال الكلام، ويتعلّق الأمر فيها بمعرفة ما تمرّ من خلال استعمال بعض الأشكال اللسانية[2].

هذا النمط من التداولية، ينطلق من مُسلّمة مفادها أنّ الملفوظات الصادرة في وضعيّات معيّنة تتحوّل إلى أفعال ذات أبعاد اِجتماعيّة مُتعدّدة، وتختلف هذه الأبعاد حسب الأغراض التي تتحقّق من الإنجاز اللغوي.

[1]– أرمينيكو فرانسواز، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، 1987، ص38.

[2]– ينظر: نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط3، 2009، ص162.

فتأسّست التداوليّة كذلك على مجموعة من المفاهيم، أصبحت مجالًا للدرس اللغوي المعاصر من أبرزها نظرية أفعال الكلام، متضمنات القول، ونظرية الحجاج الذي سنتطرّق إليه في الفصل الثاني.

2) متضمّنات القول: (Les Implicites)

يتعلّق هذا المفهوم "برصد جملة من الظواهر المتعلّقة بجوانب ضمنيّة وخفيّة من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامّ كسياق الحال وغيره"[1]، فالمتكلّم في بعض الأحيان قد يقصد أكثر ممّا يقول؛ أي لا يُصرّح في كلامه بكلّ ما يقصد، وهذا ما نُطلق عليه "متضمّنات القول" والسامع يُدرك قصد مكلّمه من خلال أمرين رئيسيّين هما: الافتراض المسبق، والقول المضمر.

أ. **الافتراض المسبق:** يقوم الحوار التخاطبي على أنّ للسامع خلفيّة بموضوع الخطاب الذي يتكلّم فيه المتكلّم، فافتراض المسبق هو "شيء يفترضه المتكلّم، يسبق التفوه بالكلام، أي أنّ الافتراض المسبق موجود عند المتكلّمين وليس في الجمل"[2].

فالمتكلّم يتلفّظ بالكلام دون تفصيل ويفهم السامع مراده، وذلك من خلال السياق ومعرفته الخلفيّة، فهو كما تُعرّفه أوركيوني: "كلّ المعلومات التي وإن لم تكن مقرّرة جهرًا إلّا أنّها تنتج تلقائيًّا من صياغة القول التي تكون مدوّنة فيه بشكل جوهري، بغضّ النظر عن خصوصيّة النّطاق التعبيري الأدائيّ"[3] ويشترط في هذه الحالة وجود علاقة أو صلة رابطة بين المتكلّم والسامع.

[1]– مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص32.

[2]– جورج بول، التداولية، ص53.

[3]– أوركيوني كاترين كيربران، المضمر، تر: ريتا خاطر، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت، ط3، ديسمبر، 2008، ص48.

ويسمّي طه عبد الرحمان "الافتراض المسبق" بمصطلح "الإضمار"، ويُعرِّفه بقوله: "عبارة عن طي بعض أجزائه طيًّا، تختصّ به الاِستدلالات التي تدور في اللسان الطبيعي وتنضبط بقواعد التداول فيه"[1].

يتميّز الافتراض المسبق عن غيره من الظواهر اللغوية بأنّه: "يحصل عند السلب كما الإيجاب"[2].

ب. **الأقوال المضمرة:** في المعاني المتضمّنة للخطاب، والتي تحدّد وفقًا للسياق الذي ترد فيه وتعرف بأنّها: "محتويات ضمنيّة تداوليّة؛ أي استنباطات مُستخرجة من السياق من قبل المتلفّظ المشارك، بفضل استدلال Raisonnement عفوي إن قليلًا أو كثيرًا، يعتمد على مبادئ تحكم النشاط الخطابي"[3]، والقول المضمر يُعتبر "النمط الثاني من مُتضمّنات القول، ويرتبط بوضعية الخطاب ومقامه، على عكس الاِفتراض المسبق الذي يُحدَّد على أساس مُعطيات لغويّة"[4]، فالجمل المضمرة تُفهَم من خلال المقام الذي قيلَتْ فيه، كما وضّحته أوركيوني بقولها: "كلّ المعلومات القابلة للنقل عبر قول مُعيّن، والتي يبقى تفعيلها خاضعًا لبعض خاصيّات السياق التعبيري الأدائي"[5] ويذهب ديكرو إلى أنّه من مميّزات القول المضمر أنّه غير مُستقرّ وهو تابع للحال الصادر ضمنها.

ويختلف الافتراض المسبق على القول المضمر، باعتبار الأوّل معلومات مستمدّة من المعرفة العامّة، وسياق الحال، والجزء المكتمل من الخطاب ذاته"[6]، فالافتراض يكمن فيما هو موجود في القول وما هو مُتفّق عليه،

---

[1]– طه عبد الرحمان، اللسانيات والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998، ص148.

[2]– عادل فاخوري، محاضرات في فلسفة اللغة، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2013ن ص69.

[3]– دومينيك مانغولو، تر: مُحَمَّد يحياتن، منشورات الاِختلافات، ط1، الجزائر، 2008، ص119.

[4]– مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص32.

[5]– أوركيوني كاترين كيربرات"مضمر"، ص74.

[6]– بروان ويول، تحليل الخطاب، تر: مُحَمَّد لطفي الزليطي، ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، د. ط، د. ت، ص96.

بالإضافة إلى السياق الذي قيل فيه، بخلاف القول المضمر الذي ينطلق من التأويلات المتعدّدة للسامع من قول معيّن.

ويخلص السكاكي في مفتاحه "متضمّنات القول" إلى أنّ: "الحالة التي تقتضي طي ذكر المسند إليه هي: إذا كان السامع مستحضر له، عارفًا منك القصد إليه عند ذكر المسند، والترك راجع إمّا لضيق المقامة، وإمّا للاحتراز عن العبث، بناءً على الظاهر، وامّا التخييل أنّ في تركه تعويلًا على مشاهدة العقل، وأمّا للقصد إلى عدم التصريح ليكون لك سبيل إلى الإنكار إن مسّت إليه حاجة، وإمّا لأنّ الخبر لا يصلح إلّا لحقيقة، وإمّا لأنّ الاستعمال وارد على تركه أو ترك نظائره"[1]، فمُتضمّن القول قد يفهمه من خلال اِستحضار السامع للمسند إليه.

تُعْنى اللسانيّات التداوليّة بدراسة الدلالة في علاقتها بمواقف فعل الكلام، فهي تدرس معنى الكلام وفق سياقه وظروف إنتاجه، وترتكز في دراستها للكلام أثناء الاِستعمال على مفاهيم ونظريّات تتأسّس من خلالها وتقوم عليها.

3) نظريّة الأفعال الكلاميّة:

إذا أردنا البحث في نشأة هذه النظريّة، لا بدّ من حصرها في مجموعة محدّدة، فهي قديمة المنشأ وحديثة الدراسة، تمتدّ جذورها من التراث العربي. فقد وجدت لدى علمائنا القدامى على اِختلاف مشارعهم وتخصّصاتهم، وأمّا المحدثون فنظروا إليها من منظور غربي، فقد جاءت جهودهم متأخرة نوعًا ما، وأدّى كلّ منهم إلى ترجمة هذا المصطلح إلى العربيّة (مصطلح الأفعال الكلاميّة).

وفي هذا الصدد، سنعرض بعض جهود النحاة والعرب لمحدثين:

[1]- السكاكي، مفتاح العلوم، ص176.

1. **عند النحاة:** كان للنحاة العرب كغيرهم في دراسة المعاني في تحليلهم للجمل والكشف عن ملابسات الخطاب وأغراضه، فنجد مثلًا رمز الدين الاسترابادي الذي قسّم الجملة إلى (خبريّة، إنشائيّة، طلبيّة)، الذي خالف تقسيم النحاة الذين يعتبرون أنّ الجملة الأسلوبيّة صنفين: جملة خبرية وجملة إنشائيّة، إلّا أنّ النحاة أخذوا بالتقسيم الثنائي المشهور، فرأوا أنّ الجملة تدلّ على معنى أساسي واحد، هو نسبة مضمون المسند إلى المسند إليه، فإذا قصد المتكلّم الكشف والإنباء عن ثبوت تلك النسبة من عدمه، كانت جملة خبريّة إمّا صادقة أو كاذبة، أمّا إذا قصد إيجاد النسبة الخارجيّة وإنشائها في الواقع، فتكون جملة إنشائيّة"[1].

ويُقرّ الدكتور كمال بشر أنّ: "النحاة في اِهتمامهم بالعوامل الاجتماعيّة واللغة، لم يقتصروا في النظر إلى بنية النصّ اللغوي كما لو كان شكلًا منعزلًا عن العوامل الخارجيّة التي تلفّه وتحيط به، وإنّما أخذوا مع محيطه وظروفه، كما فطنوا إلى أنّ الكلام له وظيفة ومعنى في عمليّة التواصل الاِجتماعي، وأنّ هذه الوظيفة وذاك المعنى لهما ارتباط. وتبقى بسياق الحال أو المقام وما فيه من أشخاصوأحداث ظهر هذا كلّه في دراستهم، ولم ينصّوا عليه كمبدأ من مبادئ التقعيد أو أصلًا من أصول نظريّتهم اللغويّة"[2].

إنّ دراسة أفعال الكلام عند البلاغيّين تختلف عن مثيلتها عند النحاة، فالنحاة ينطلقون من الأشكال للوصول إلى الدلالات المتضمّنة فيها، أمّا البلاغيون فيدرسون دلالات الأشكال بِاعتبارها أفعال كلام مُستقلّة عن الأشكال التي ترد فيها.

2. عند العرب المحدثين:

[1]– مسعود صحراوي، الأفعال الكلاميّة عند العلماء العرب، ص175– 176.

[2]– مُحَمَّد سالم صالح، أصول النظرية السياقية عند العلماء العربية ودور هذه النظرية في التوصّل إلى المعنى، مقال صادر عن جامعة الملك عبد العزيز، كليّة المعلّمين بمحافظة جدّة، ص12.

تميّزت نظريّة أفعال الكلام عند العرب المحدثين بخضوع أصحابها للدقّة والصرامة العلميّتين، وأوّلها عمل الدكتور "أحمد المتوكل" في كتابه الذي هو في الأصل أطروحة نال بها شهادة الدكتوراه بجامعة مُحَمَّد الخامس، فهي مجال نظرية الأفعال الكلاميّة.

أشار المتوكّل في دراسة إلى اتّفاق العرب القدامى على اِختلاف مشاريعهم على تمييز الإنشاء من الخبر، فقد كانت هناك اِتّجاهات في دراسة هذه الأساليب، اِتّجاه نحوي: يُقسِّم الكلام إلى أفعال كلامية مباشرة وأخرى غير مباشرة، وقد ذهب القدامى حسب "المتوكّل" إلى مذهبي في تصنيف الأفعال الكلاميّة غير المباشرة، مذهب شكلي يُمثّله النحاة، ومذهب دلالي وتداولي يستند إلى أغراض المتكلّم ويُمثّله علماء البلاغة.

وأمّا الأفعال الكلامية المباشرة فقد وجد هناك مذهبان في تأويلهما، مذهب يتّجه إلى عدم مطابقة مقتضى الحال، هو المتسبّب في انتقال دلالة الفعل المباشر إلى دلالة أخرى. ومذهب يعتبر البنية المنجزة تُمثّل الفعل المباشر وغير المباشر"[1].

اهتمّ به خالد ميلاد الذي كان يسعى إلى: "تقصّي مفهوم الإنشاء في الدرس اللغوي العربي، وبيان حدوده وأصوله وفروعه في مدّهما وجزرهما وتولّد بعضها من بعض، وذلك للوقوف على الخصائص الدلاليّة للكلام الإنشائي وم يرتبط بينهما من تركيبات إعرابيّة، مُستندًا في ذلك على نصوص من التراث النحوي والبلاغي"[2].

تُعدّ التداوليّة درس معرفيّ جديد في مجال اللسانيات، فهي كما يُعرّفها الكثير أنّها دراسة اللغة أثناء الاِستعمال، فللغة وظائف عدّة أهمّها الوظيفة التواصليّة، وهو محلّ الدراسة في هذا العلم من خلال دراسة علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، اتّخذت التداوليّة عدّة أبعاد ساهمت في تطوّرها وتبلورها، ومذ هذه الأبعاد

[1]- ينظر: د. عمر فاطمة الزهراء بوكرمة، المؤتمر الدولي "خطاب التحديد في الدراسات العربية بين النظرية والتطبيق، بحث بعنوان نحو قراءة جديدة للتراث العربي الإسلامي بالوقوف على تداوليّة الأفعال الكلاميّة، ص4- 5.

[2]- المرجع نفسه، ص 5.

التي تمثّل العمود الفقري للتداوليّة وهي نظريّة الأفعال الكلاميّة والتي تولّدت منها أبعاد فرعيّة تقوم عليها هذه النظرية، كالاستلزام الحواري، مُتضمّنات القول، القصديّة، نظريّة الملائمة.

1.3. الأفعال الكلاميّة: يُعتبر الفعل الكلامي النواة المركزيّة للكثير من الأعمال التداوليّة وفحواه، وأنّه كلّ ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلًا عن ذلك، يُعدّ نشاطًا مادًّا نحويًّا يتوسّط أفعالًا قوليّة لتحقيق أغراض إنجازيّة كالوعد والطلب والتوكيد[1]. فنظريّة أفعال الكلام بمثابة لبّ الدّرس التداولي، والعمود الذي يقوم عليه.

تُعنى التداوليّة بدراسة اللغة أثناء التواصل، فإستعمال اللغة في موقف مُعيّن لإنجاز مُعيّن هم محلّ اهتمام النظريّة، فهي التصرّف الإجتماعي الذي يُنجزه الإنسان بالكلام"[2]، فهي تهتمّ بدراسة النمط التواصلي الخاصّ من الفعل والذي تكون من اللغة.

ونشأت نظرية أفعال الكلام على يد "جون أوستين" (J. L. Austine)، وتطوّرت على يد "جون سيرل" (J. H. Seurl) الذين قالا بأنّ اللغة تتعلّق بالإنجاز أو الفعل الإنجازي وقوّة فعل الكلام، فيعني المعنى القصدي لمنطوق ما"[3]، فالأفعال الكلاميّة تُركّز على الجوانب التواصليّة للغة، من خلال تحقيق القصد أو الغاية لمنطوق مُعيّن، فقولنا: "فعل كلامي"، معناه خطاب أو قول مُعيّن ينتج عنه عمل أو فعل.

أ. تصنيف "أوستين للأفعال الكلامية:

[1]– ينظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداوليّة اللسانيّة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011، ص73.

[2]– علي محمود الصراف، في البراغماتية الأفعال الإنجازية العربية المعاصرة، دراسة دلاليّة ومعجم سياقي، مكتبة الآداب: مصر، ط1، 2010، ص22.

[3]– عيسى رانيا فوزين علم اللغة النصي، رسائل الجاحظ أنموذجًا، دار المعرفة الجامعيّة، مصر، د. ط، 2014، ص307.

ترتكز نظريّة "أوستين" على فكرة الإنجازيّة التي مفادها أنّ بعض الملفوظات في حقيقتها لا تصف شيئًا في العالم، ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب، لكنّها تؤدّي أفعالًا مثل الوعود والتحذير، ويحكم عليها بمعيار الفشل والنجاح في الإنجاز.

قسّم "أوستين" نظريّة "أفعال الكلام" إلى ثلاثة أقسام مكمّلة لبعضها، وتحدث في الوقت نفسه، حتى يتحقّق الفعل الكلامي، وهي:

1 . **فعل القول**: (**Acte locutoire**) ويُراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة، ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة.

2 . **الفعل المتضمّن في القول**: (**Acte illocutoire**) وهو الفعل الإنجازي الحقيقي؛ إذ أنّه عمل يُنجز بقول ما، وهذا الصنف المقصود من النظريّة.

3 . **الفعل الناتج عن القول**: (**Acte perlocutoire**) أو الفعل التّأثيري، وهو السبب في نشوء أثر في المشاعر والأفكار، ومن أمثلة تلك التأثير: الإقناع، التضليل، والإرشاد"[1]، وهذا ما يوضّحه المخطّط الآتي:

[1]- محمود طلحة، تداوليّة الخطاب السردي، دراسة تحليليّة في وحي القلم للرافعي، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط3، 2012، ص104.

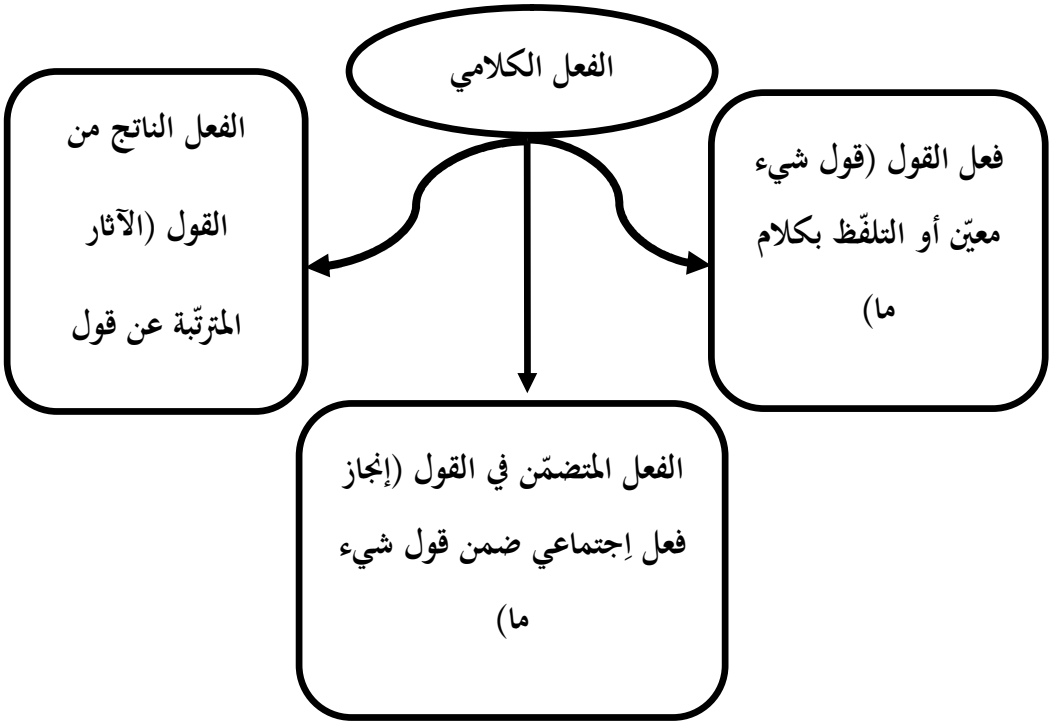

والأفعال الكلاميّة، من أهمّ المرتكزات في التحليل التداولي، وتعرف بأنّها أصغر وحدة تحقّق فعلًا عن طريق الكلام بإصدار أمر، أو وعد، أو توكيد، بمعنى أنّه بمجرّد النطق بها تتحوّل إلى إنجاز للفعل، حيث ميّزتبين خمسة أنواع للأفعال الكلاميّة وهي[1]:

- **الأفعال الحكميّة (القراريّة): (verdictifs)**وتقوم على الإعلان عن حكم، تتعلّق بقيمة أو حدث، مثل: وعد، وصف، وطبع...
- **الأفعال التمرسيّة (الإنقاذيّات): (Exersitifs)** وتقوم على إصدار قرار لصالح، أو ضدّ سلسلة أفعال، مثل: أمر، دافع عن..، طلب، تأسّف...
- **أفعال التكليف (الوعديّات): (Commissifs)** ويلزم فيها المتكلّم بسلسلة أفعال محدّدة، مثل: وعد، تمنّى، اِلتزم بعقد، أقسم...

[1]– خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيليّة في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2009، ص96.

- **الأفعال العرضيّة (التعبيريّة): (Expositifs)** عرض مفاهيم منفصلة، وتوضيح إستعمال كلمات وضبط مراجع، مثلك أكّد، أنكر، أجاب...
- **أفعال السلوكات (الإخبارات): (Comportementeaux)** ويُراد به رود أفعال، ويرد فعل اتّجاه سلوك الآخرين، واتّجاه الأحداث المرتبطة بهم: أعتذر، هنّأ، الترحيب...

يُميّز "أوستين" بين نوعين من الأقوال، أقول تقريريّة وأقوال إنجازيّة؛ أمّا التقريريّة فهي الجمل التي تحتمل الصدق أو الكذب، والأفعال الإنجازيّة كما يُعرّفها "أوستين" هي "ذلك الفعل الذي يقوم به من خلال الكلام"[1]؛ أي الغاية من إنجازنا لهذا القول.

والأفعال الإنجازيّة نوعان:

أ. **إنجازيه (صريحة/ مباشرة)**:فعلها ظاهر، يصف علامات الفعل المقصود الموجود في القول نفسه، كالأمر والنهي...، وتمثّل الأفعال الإنشائيّة في التراث العربي.

ب. **إنجازيّة (ضمنيّة/ غير مباشرة)**: فعلها غير ظاهر؛ أي أنّها تحتاج تأويلًا من المستمع لإظهار القصد الإنجازي الذي يريده المتكلّم[2]، وتُمثّل الجملة الخبريّة في التراث العربي.

والملاحَظ أنّ "جون أوستين" وضع كلّ اِهتمامه على الأفعال الإنجازيّة التي يكون التلفّظ بها يساوي تحقيق فعل، فأوستين وضع شروط لإنجازيّة القول وأهمّها[3]:

- لا بدّ من وجود إجراء عرفي مقبول، له أثر عرفي محدّد، وهو إجراء يقتضي أشخاصًا يتلفّظون ببعض الكلمات في ظروف خاصّة.

[1]- صادق متن كاظم، أسلوبيّة الحجاج التداولي والبلاغي، النشر والتوزيع، تونس، منشورات ضفاف، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ط3، 2015، ص134.

[2]- ينظر: خولة طالب الابراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة، الجزائر، ط2، 2006، ص163.

[3]- جواد ختام، التداوليّة أصولها واتّجاهاتها، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2016، ص88.

- لا بدّ أن يُنفِّذ جميع المشاركين الإجراء بطريقة صحيحة وكاملة.
- لا بدّ للطرف الذي يشارك في الإجراءات أن يتوافر فعليًّا على الأفكار.

ومن خلال ما بذله "جون أوستين" من جهود في سبيل إقامة نظريّة متكاملة لأفعال الكلام، فإنّه لم يوفّق، فقد ظلّت أعماله تفتقد للأسس المنهجيّة الواضحة، ولم تتحدّد معالم هذه النظريّة إلّا مع مجيء "جون سيرل" وتلك هي المرحلة الثانية في تطوّر هذه النظريّة.

ب.إعادة صياغة نظرية أفعال الكلام من قبل "سيرل":

صدر كتاب "سيرل" (الأفعال اللغويّة) عام 1969 بالإنجليزي، وتُرجم إلى الفرنسيّة سنة 1972، تبنّى فيه اقتراحات "أوستين" _بشكل من الأشكال_ مُستندًا على أنّ "فعل القول" لا يمكن تحقيقه من قوّة إنجازيّة، كما أجرى تعديلات على تصنيف أستاذه للأفعال اللغويّة، فضلًا عن الاِهتمام الخاصّ الذي أعطاه للمعنى والمحتوى اللغوي.

إنّ دراسة "سيرل" لـ "الأفعال الكلاميّة" وتصنيفه لها، كان بفضل ما أوتي من جهاز مفاهيمي ثري، أكثر دقّة ممّا ورثه عن أستاذه الذي يعود إليه فضل اِكتشاف الظاهرة وعزلها وتحديد إطارها العام كظاهرة خطابيّة عامّة. وسوف نعرض أهمّ الأفكار التي بسّطها "سيرل" والمتمثّلة في الفعل الكلامي المباشر، والذي يتألّف عنده من أربعة مُكوِّنات وهي: فعل القول، الفعل القضوي، الفعل الإنجازي، والفعل التأثيري، بدل ثلاثة عند "أوستين":

❁ **شروط الفعل الكلامي:** استخرج "سيرل" الشروط التي ينبغي أن يستوفيها أداء الفعل اللغوي حتى يكون أداءً مُوَفَّقًا، وقد جمعها في أربعة أنواع من الشروط هي[1]:

✓ **شروط مضمون القول:** وتُحدّد أوصاف المضمون المعبّر عنه بقول مخصوص.

[1]– طه عبد الرحمان، التواصل والحجاج، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، الرباط، د. ط، د. ت، ص11-12.

- ✓ **الشروط الجوهريّة:** وتُعيّن هذه الشروط الغرض التواصلي من الفعل التكلّمي، هذا الغرض الذي يلزم المتكلّم بواجبات معيّنة.
- ✓ **شروط الصدق:** وتحدّد الحلّ الاعتقادي الذي ينبغي أن يقوم بالمتكلّم المؤدّي لهذا الفعل التكلّمي.
- ✓ **الشروط التمهيديّة:** وتتعلّق هذه الشروط بما يعرفه المتكلّم عن قدرات وإعتقادات وإرادات المستمِع وعند طبيعة العلاقة القائمة بينهما.

سرعان ما قسّم "سيرل" الأعمال اللغويّة إلى خمسة أصناف تتّضح من خلال الكلام، فالمتكلّم أثناء حديثه _بالإضافة إلى السياق الكلامي وعدّة قرائن لغويّة_ يفهم السامع الغرض الذي يرمي إليه المتكلّم، فهذا التصنيف يكون بحسب جملة من المقاييس والشروط بلغت اِثنا عشرة فارقًا مميّزًا، لكن كثرة هذه الشروط قد تجعل كلّ عنصر يُمثّل قسمًا على حدة، لذلك يُركّز "سيرل" على الشرط الأوّل والذي يُمثّل الغرض من العمل اللغوي، مع تضمينه اِتّجاه المطابقة، وهو ما ساعده في تصنيف الأفعال الكلاميّة إلى خمسة أصناف"[1]، وهي على النحو التالي[2]:

- **القولات التوكيديّة: (assertives)**وتكمن غايتها الكلامية في جعل المتكلّم مسؤولًا عن وجود وضع للأشياء، وتشمل التأكيد، التحديد، والوصف.
- **القولات التوجيهيّة: (directives)** وغايتها حمل الشخص على القيام بفعل معيّن، وتشمل الأمر، النهي، والطلب.

[1]- ينظر: خالد ميلاد، الإنشاء في العربيّة بين التركيب والدلالة، دراسة نحويّة تداوليّة، المؤسّسة العربيّة للتوزيع، تونس، ط1، 2003، ص502- 503.

[2]- ينظر: عمر بلخير، الخطاب تمثيل للعالم بعض الظواهر التداولية في اللغة، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجيستر في اللغة العربيّة، جامعة الجزائر، 1997، ص155.

- **القولات الاِلتزاميّة: (commissives)** وغايتها إلزام المتكلّم على القيام بشيء (وهو لا يختلف عن تعريف "أوستين" له بِاعتراف "سيرل" نفسه)، ومن امثلتها أعد، ألتزم، أضمن، أقسم.
- **القولات التعبيريّة: (expressives)** وتتمثّل في التعبير عن حالة نفسية مثل/ الاعتذار والسرور.
- **القولات الإعلانيّة: (déclarations)** وغايتها إحداث تغيير عن طريق الإعلان، وتشمل الأفعال الدالّة على ذلك، الإعلام، الإخبار، الإنجاز، والإعلان.

يُعتبر تصنيف "أوستين" وتلميذه "سيرل" للأفعال الكلاميّة هو تقسيم العرب للكلام خبر وإنشاء، فقد تناول العرب القدامى الخبر والإنشاء في دراساتهم ضمن تراكيب الكلام، خاصّة في علم المعاني، حيث يُوضّحه السكاكي بقوله: "وهي تتبّع خواصّ تراكيب الكلام في الاِستدلال...أطلعه ذلك على كيفيّة نظم الدليل"[1]، وللتمييز بين هذه القولات، استخدم "سيرل" ثلاثة معايير وهي:

- **الغرض الإنجازي للفعل الكلامي:** ويمكن أن توصف المقاصد الاِتصاليّة والعمليّة بالغرض الإنجازي، التي يتوخّاها متكلّم ما بمنطوقه، ما يُعبّر عنه النحاة العرب بإفادة السّامع.
- **الموقف النفسي:** الذي يُعبّر عنه المتكلّم بالفعل الكلامي، ويمكن أن تكون مواقف نفسية مثلًا الرغبة، القصد وغيرها، وتناوله العرب بمفهوم "مراعاة مُقتضى الحال".

[1]- السكاكي (أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر مُحَمَّد بن علي)، مفتاح العلوم، ظبطه نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط1، 1983، ص435.

❖ **اِتّجاه المطابقة بين الكلمات والواقع:** هذا المعيار يُمكن أن يُوَضَّح بأمثلة، فإذا نطق مُتكلّم فعلًا توجيهيًّا أو غير ذلك، فالواقع يتغيّر على نحو ما يقصد في الفعل"[1].

يرى "سيرل" أنّ إنجازيّة الأفعال تتّضح في مُطابقة الكلام للواقع، ومن خلال اِرتباط البنية بالاِستعمال، وقد بيّن "عبد القاهر الجرجاني" في كتابه "دلائل الإعجاز" مدى أهميّة ربط القواعد بالاِستعمال حتى يصل للمقصديّة، فكلّما زاد اللفظ زاد المعنى كقصّة الفيلسوف الكندي والمبرد، حيث يقول: "روي عن ابن الأنباري أنّه قال: "ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس وقال له إنّي لأجد في كلام العرب حشوًا" فقال له أبو العباس: "في أيّ موضوع وجدت".

ذلك، فقال أحد العرب يقولون:"عبد الله قائم" ثمّ يقولون: "إنّعبد الله قائم" ثمّ يقولون: "إنّ عبد الله لقائم"، فالألفاظ مُتكرّرة والمعنى واحد، فقال "أبو العباس: "بل المعاني مختلفة لِاختلاف الألفاظ، فقولهم "عبد الله قائم" إخبار عن قيامه، وقولهم: "إنّ عبد الله قائم" جواب عن سؤال سائل، وقولهم: "إنّ عبد الله لقائم" جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكرّرت الألفاظ لتكرّر المعاني، فقال: "فما أحار المتفلسف جوابًا"[2].

ويمكن تصنيف "سيرل" كما يلي: لو أخذنا الهدف العرضي بوصفه فكرة محوريّة تُصنّف بها استعمالات اللغة لوجد إذًا عددًا محدودًا _إلى حدّ ما_ لأشياء نفعلها باللغة، نخبر الناس كيف توجد الأشياء، ونحاول التأثير عليهم ليفعلوا أشياء، ونُلزم أنفسنا بفعل أشياء ونُعبّر عن مشاعرنا ومواقفنا، ونُحدث تغييرات بواسطة منطوقاتنا، وفي أحوال كثيرة نفعل أكثر من واحد من هذه الاِستعمالات بمنطوق بعينه في آنٍ واحد"[3].

---

[1]- سيبويه (أبو بشير عمرو بن عثمان بن قنبر)، الكتاب، تح: عبد السلام مُحَمَّد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط3، 1996، ص25/5.

[2]- الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن مُحَمَّد)، دلائل الإعجاز، تعليق: محمود شاكر، ص315.

[3]- صالح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، لبنان، ط1، 1993، ص 237- 238.

ويُشير "سيرل" إلى وجود دلائل متنوّعة، تدلّ على القوّة الإنجازية "الدليل" أو بديل القوّة الإنجازيّة (Indicateur de la force illocutionnaire)، تساهم في توضيح نوع الفعل الإنجازي الذي يؤدّيه المتكلّم بنطقه لجملة ما، وهي في اللغة الإنجليزية على غرار باقي لغات العالم، تتمثّل في النبر "Accent"، والتنغيم "Intonation"، علامات الترقيم "ponctuation" في اللغة المكتوبة، نظام الجملة، صيغة الفعل، وأيضًا في الأفعال الأدائيّة "Performative"[1].

وانطلاقًا ممّا سبق، يُميّز "سيرل" بين نوعين من الدلالة الحملية[2]، الدلالة العامّة، والدلالة الخاصّة للجمل.

- ✓ **الدلالة العامّة للجمل:** تتمثّل في المعنى العامّ المستفاد من ضمّ المعمول إلى الموضوع وتعلقاتها في جملة ما، فهو معنى ساكن، لا يتجاوز الدلالة الحرفية للجملة، ولا يتغيّر بتغيّر مقامات القول.
- ✓ **الدلالة الخاصّة للجمل:** تتمثّل فيما يُضيفه المتكلّمون على ملفوظاتهم أثناء التلفّظ بها، حيث تصطنع مضامين القول بمواقف المتحدّث وآرائه وأفكاره الخاصّة، وبمعتقداته وثقافته وتقاليده، فيكون بذلك متغيّرًا بتغيّر مواقف المتحدّثين وشخصيّاتهم أثناء العمليّة التواصليّة.

هذا ما أفاد به "سيرل" في التمييز بين الدلالة المقاميّة والدلالة المقاليّة (المتمثّلة في الدلالة الحرفيّة للجملة)[3]، فالدلالة المقاميّة، دلالة تتغيّر بتغيّر مقامات القول، أمّا الدلالة المقاليّة، فساكنة، ثابتة، لا تتغيّر بتغيّر المقام.

---

[1]– محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2002، ص73.

[2]– يحي بعطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه، إشراف: عبد الله بوخلخال، جامعة منتوري، قسنطينة، ص153- 154.

[3]– نعيمة الزهري، الأمر والنهي في اللغة العربية، منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة الحسن الثاني، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، د. ط، 1997، ص154.

"ومن المعتاد أن يُعاد بناء الإنتقال من "أوستين" إلى "سيرل" على أنّه تاريخ تقدّم، تحلّ فيه نظرية أحسن محلّ نظريّة (أسوأ)، ولقد كان "أوستين" نفسه الذي مهّد لهذا الإنتقال في عمله"[1]، فهو من اكتشف الخلل المعياري في ما قدّمه من تقسيمات للفعل الكلامي، "وتنطلق نظرته إلى الخاصيّة الفعليّة للكلام من إكتشاف المنطوقات الأدائيّة التي فهم تحتها نوع من الكلام، ينجز أيضًا في الوقت نفسه ما يغيره ليحقّق أيضًا ما يُشير إليه، إلّا أنّ التفريق لمقولي المتضمن في ذلك بين المنطوقات الأدائية والإخباريّة.

وما يُمكن إستنتاجه، هو أنّ الفضل في تأسيس نظريّة الأفعال الكلاميّة يعود إلى "أوستين" على الرغم من أنّه لم يتوصّل إلى هدفه الذي هو يكمن في وضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية.

ج. الفعل الكلامي عند الدارسين العرب:

استطاعت نظرية "الأفعال الكلاميّة" أن تستقطب إهتمام الدارسين العرب، أين بذلوا مجهودات متنوّعة من أجل شرحها وبيان مقاصدها، وتقديم البدائل المصطلحيّة لها، مُقترحين في بعض الأحيان بعض الطروحات الجديدة.

ويكاد يُجمِع الدارسين المحدثين على أنّ العلماء العرب القدامى تناولوا عدّة جوانب أثناء دراستهم للغة، وتبقى الصلة بمجال التداولية، فقد درس العرب كلّ ما يرتبط بالتواصل اللغوي (المرسل والمرسل إليه)، وأحوال المخاطب في مناسبات عدّة، خاصّة في تنظيم الخطاب "فمرجع (الإيجاز والإطناب) _مثلًا_ هو حال المخاطب، وكذلك الشأن عند الحديث عن المعاني المناسبة لكلّ جزء من الكلام، وما يكون للوصل والفصل من أثر المعاني المناسبة لكلّ جزء من الكلام، وما يكون للوصل والفصل من أثر في النفوس... ومُراعاة أحوال

[1]- نادية رمضان لنجار، الإتّجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي، مؤسّسة حورس الدوليّة، ط1، 2012، ص186-187.

المخاطبين، خاصّة عند الحديث عن خطأ المعاني وصوابها، فخطأ المعاني راجع في جانبه إلى عدم مناسبتها لحال المخاطب"[1].

كما ركّز العرب في دراستهم للأفعال الكلاميّة على القصد[2]، فعرّفوا الكلام بأنّه: "قول مفيد مقصود"[3]، فالقصد يتحدّد الغرض من أيّ فعل كلامي، كما يُحدّد هدف المرسل من وراء سلسلة الأفعال التي يتلفّظ بها، وهذا ما يُساعد المتلقّي على فهم ما أرسل إليه، وبذلك يُصبح القصد مطلبًا أساسيًّا وشرطًا من شروط نجاح الفعل الكلامي.

وعندما قسّموا الكلام إلى خبر وإنشاء، وضعوا لكلّ قسم منهما شروطًا مقاميّة تتحكّم في إنجازه، فبالنسبة للخبر يمكن إذا ما أجري الكلام على غير أصله أن يخرج عن قصده إلى أغراض مختلفة، وأمّا بالنسبة للطلب، فإنّ أنواعه الأصليّة تخرج إذا أنجزت في مقامات وشروط إجرائها على الأصل إلى أغراض فرعيّة تناسب هذه المقامات، كالإنكار والتوبيخ والزجر والتهديد"[4]، وينقسم الكلام في التراث اللغوي العربي إلى قسمين، كلام خبري، وكلام إنشائي، اِنطلاقًا من معيار "الصدق والكذب".

فالكلام الخبري مرادف لمصطلح القضية عند المناطقة، ولمصطلح القول الجازم عند أرسطو... وفلاسفة الإسلام، وهو مرادف للجملة الخبريّة عند النحاة"[5]، ويقصد به قول يصحّ أن يُقال لقائله إن كان صادقًا أو كاذبًا.

---

[1]- مُحَمَّد العمري، البلاغة العربية أصولها وإمتداداتها، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2010، ص287.

[2]- المرجع نفسه، ص287.

[3]- ابن جني (أبو الفتح عثمان)، الخصائص، تح: مُحَمَّد علي النجار، دار الهدى، لبنان، ط2، د. ت، ص17.

[4]- عمر بلخير، مقالات في التداولية والخطاب، ص121.

[5]- ينظر: حسن بشير صلح، علاقة المنطق باللغة عند فلاسفة المسلمين، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندريّة، ط3، 2003، ص316.

وكانت دراسة العرب للأفعال الكلاميّة تتجلّى في تناولهم لموضوع (الخبر والإنشاء) ..... التمييز بين الأسلوبين والأغراض البلاغية التي تتحقّق جرّاء اِستخدام هذين الأسلوبين (خروج الكلام على خلاف مُقتضى الظاهر)، وهو ما نجده عند التداوليين بالأفعال الكلاميّة غير المباشرة.

وعلى كلّ، فقد قسّم العلماء العرب الكلام إلى خبر وإنشاء، ويُمكن توضيح ذلك في الشكل التالي:

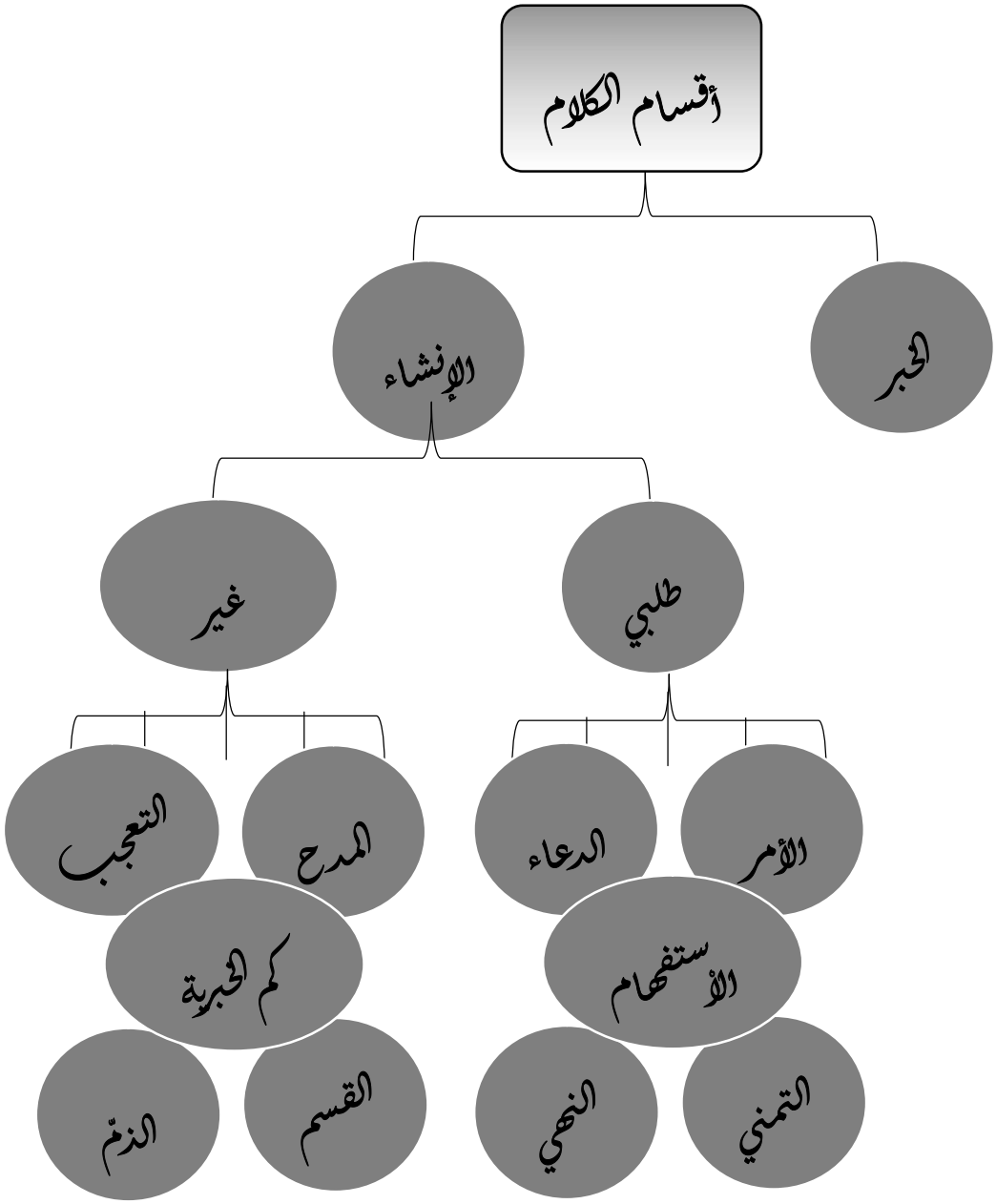

II. الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي:

أوّلًا: الخبر والإنشاء:

1. الخبر: تناول العرب الخبر بالدراسة، فحدّدوا مفهومه وقسّموه إلى أضرب الخبر اِنطلاقًا من عدد المؤكّدات التي يحتويها (إنكاري، ابتدائي، وطلبي)، كما حدّدوا أغراضه التي تستنتج اِنطلاقًا من السياق وقصد المتكلّم.

فالكلام الخبري مرادف لمصطلح القضية عند المناطقة، ولمصطلح القول الجازم عند أرسطو... وفلاسفة الإسلام، وهو مرادف للجملة الخبرية عند النحاة[1]، والمقصود به هو قول يصحّ أن يُقال لقائله إنّه كاذب أو صادق، فالخبر إذن: "ما كان له واقع يُطابقه فهو صادق، وإن لم يُطابقه فهو كاذب"[2].

ويذهب الجاحظ إلى أنّ الخبر غير منحصر في القسمين: الصادق والكاذب، بل أقسامه ثلاثة: "صادق وكاذب وواسطة بينهما، لأنّ الحكم إن طابق الواقع مع اِعتقاد المخبِر أنّه مطابق فهو صادق، وإن لم يُطابق الواقع مع اِعتقاده أنّه غير مُطابق فهو كَذِب، وغير هذين ليس بصدق ولا كذب"[3]، فالأخبار الواجبة الصدق هي أخبار الله وأخبار الرسول، والواجبة الكذب هي أخبار المتنبّئين في دعوة النبوّة والبديهيّات المقطوع بصدقها أو كذبها.

---

[1]- ينظر: جميل صيلبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1982، ص.

[2]- ينظر: حسن بشير، علاقة المنطق باللغة عند فلاسفة المسلمين، مصر، ط1، 2003، ص316.

[3]- جلال الدين مُحَمَّد بن عبد الرحمان القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، تح: عبد الرحمان البرقوني، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1904، ص39.

ويرى السكاكي أنّ: "مرجع كونه صدقًا أو كذبًا عند الجمهور إلى مطابقة للواقع أوّلًا، فإنّ كان مطابقًا للواقع لم يحتمل الكذب، وإن لم يكن مُطابقًا للواقع، لم يحتمل الصدق، يجب أن يُقال: "الخبر ما صدق وكذب"[1]، وهذا رأي الجمهور.

وركّز علماء العرب على مبدأ "الإفادة" وقصروا دراستهم على التراكيب الدالّة المفيدة، وهذا ما ذهب إليه "سيبويه" حينما صنّف الكلام (الجملة) العربيّة إلى "... مستقيم حسن، وحال، ومستقيم كذب، وما هو محال كذب"[2].

فسيبويه لما تحدّث عن صنف "المحال" لم ينعته بالإِستقامة أو الحسن.

واهتمّ السكاكي هو الآخر بمبدأ الإفادة في أثناء حديثه عن علم المعاني، فقال: "اِعلم أنّ علم المعاني هو تتبّع خواصّ تراكيب الكلام في الإبانة، وما يتّصل بها من الاِستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"[3].

أضرب الخبر:

عندما نلقي الخبر إلى السامع أو المتلقّي قد يكون خالي البال، مُستعدًّا لتصديق ما يسمع، أو قد يكون في حال من الشكّ والتردّد في قبول الخبر، أو يكون على حالٍ أشدّ من الإنكار والمكابرة، وقد اِستعدّ المتكلّم البليغ لكلّ حالة من الحالات لدى سامعه، فإذا به في معرض ملاءمة الكلام مع مُقتضى الحال يسوق الخبر على ثلاثة أحوال، خالٍ من المؤكّدات، مصحوبًا بإحدى المؤكّدات، مصحوبًا بأكثر من مؤكّدين"[4].

[1]- السكاكي، مفتاح العلوم، ص166.

[2]- سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام مُحَمَّد هارون، دار التاريخ، لبنان، ص49.

[3]- السكاكي،مفتاح العلوم، ص161.

[4]- عبد القادر مُحَمَّد مايو، البلاغة العربية (الخبر والإنشاء)، سوريا، د. ط، د.ت، ص5.

وقد تعارض البلاغيون في علم المعاني على تسمية هذه الأحوال (أضرب الخبر)، فنجد الخبر الاِبتدائي: فعندما يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم في مضمون الخبر، فعندئذٍ يلقي المتكلّم عليه الخبر دون تأكيد، بحيث هذا الصنف لا يحتاج إلى توكيد، ويكون طول الجملة وقصرها على قدر الحاجة عند المخاطب، تبعًا لتصوّر المتكلّم، كقوله تعالى: "ويقولون آمنّا بالله وبالرسول وأطعنا ثمّ يتولّى فريق منهم من بعد ذلك" سورة النور–الآية 47–، فهذه الآية خالية من المؤكّدات لأنّ الجملة الخبرية يُمكن أن تَرِدَ خالية من المؤكّدات لعدم وجودها الداعي إلى اقترانها بما يقتضي تأكيدها.

ولكن حين يكون لدى المخاطب شكّ في الخبر، أو عوامل شكّ عن قبول الخبر، فإنّ حاله تكون حال طالب يسأل عن صحّة الخبر، فيحسن أن يؤتى له بالجملة الخبرية مُقترنة بما يؤكّد صحّة مضمون الخبر، فإذا كانت عوامل الشكّ غير قويّة حسن في الكلام وروده مقترنًا ببعض المؤكّدات، قال عنه السكاكي: "وإذا ألقاها إلى طالب لها، متحيّر طرفاها عنده دون الاستناد، فهو منه بيّن، ليُنقذه من ورطة الحيرة، يُستحسن تقوية المنفذ بإدخال الأمر في الجملة، أو "إنّ""[1]، لأنّ المتكلّم يحتاج إلى اِستعمال احدى المؤكّدات التي تثبرهن على صحّة قوله، وأنّه صادق أو كاذب.لأنّ الغرض من المؤكّدات هو تأكيد المتكلّم كلامه وإعلام المخاطب بأنّه يقول كلامًا جازمًا قاصدًا لما يدلّ عليه كلامه وواثقًا منه، لا يقوله عن توهّم أو ثرثرة أو تضليل أو اختراع، فالتوكيد في الجمل إنّما يكون للإسناد؛ أي الحكم فيها. وعليه فإنّ الجملة الخبرية تؤكّد بمؤكّدات قد ينفرد بعضها، وقد يجتمع مع غيره بشروط، ويختصّ بعضها بالجملة الفعليّة والبعض الآخر بالجملة الاِسمية، ومنها ما يؤكّد به الجمل الفعليّة والاِسميّة معًا.

أدوات التوكيد: وهي عديدة ومتنوّعة، ونقتصر على ما تضمّنه كتاب "كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار":

[1]–السكاكي، مفتاح العلوم، ص258.

1. إنّ وأنّ: وهي الأصل في التوكيد ومن الأحرف المشبّهة بالفعل، تدخلان على المبتدأ والخبر، وتُفيدان أيضًا مضمون الجملة وتوكيد الكلام المقصود منه وتوضيح المعنى المراد منها ورفع الشكّ عنهما، وكتاب "كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار" متوفّر بالأساليب الخبرية، خاصّة المؤكّدات "إنّ وأنّ"، ومن أمثلتها في الكتاب قول ابن غانم المقدسي: "**قد** علمت **أنّ** مبدأ التفريط من آفّة التخليط، والخلطة غلطة، وأوّل السيل نقطة، واِعلم **أنّ** السلامة في العزلة"[1]، فقد عمد المثال بمؤكّدين "**قد**" و"**أنّ**"، وذلك لتوضيح المعنى، لأنّه يتحدّث عن حقائق واقعة في المجتمع، لأنّه في بعض الأحيان يستحسن أن تكون منعزلًا عن العالم من مصاحبة رفاق السوء.

وقوله أيضًا:

تأمّل في رياضالروض ≈وانظر إلى آثار ما صنع الميلك

عيون من لجين شاخصاتٍ ≈بأحداقٍ كما الذهب السبيك

على قضيب الزبرجد شاهداتٍ≈بأنّ الله ليس له شريكٌ

وأنّ محمّدًا خير البرايا≈إلىالتقلين أرسله المليك[2]

يؤكّد صاحب الكتاب في هذه الأبيات بأنّ الله وحده لا شريك له وقدرته وعظمته، وعند إدخال أداة التوكيد على الجملة يتأكّد صحّة القول، لأنّ غرضها تأكيد المعنى وتوضيحه ورفع الشكّ والإبهام.

2. لام الاِبتداء: سُمّيت بـ "لام الاِبتداء" لأنّها تقع في بداية الكلام، وإذا دخلت "إنّ" على جملة مؤكّدة بـ "لام الاِبتداء" فصل بينهما بفاصل، وتنتقل للكلام المقال وتوكيد مضمون الجملة.

وأمثلتها في كتاب "كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار" قوله:

[1]- ابن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، ص81.

[2]- ابن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، ص58.

يا دار هل يقضى لنا برجوع ≈ ويعود لي يا عين طيب هجوعي

يا سادة عاد المشوق بذكره≈ يقضي أسًا في ساعة التوديع

قلبي ليوم فراقكم متوجّع ≈ وا رحمتاه لقلبي الموجوع[1]

وقد دخلت في هذه الأبيات على الفعل المضارع، حيث لام هنا لا تخرج عن إفادة التوكيد والتعليل.

3. أمّا الشرطية:وهي حرف شرط وتفصيل وتوكيد، والمراد بالتوكيد هنا تحقّق الجواب والقطع بأنّه فاصل وأنّه لا محال واقع"[2]، وهي حرف استفتاح، ويكثر اِستعماله قبل القسم مثل: أما والله لن أسأل عنه.

ومن أمثلتها في كتاب "كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار" قوله: "كأنّ المواعظ في أذنيك ريح، وكلام الواعظ في هواك كالنبيح، أما تذكر اِرتحالك عن هذا الفضاء الفسيح إلى ضيق اللحد وظلمات الريح، أما بلغك ما جرى على أبيك وهو يُنادي على نفسه ويصيح"[3]، وقوله: "والأزرق الذي كاد بكمدة يحترق، فأما الأبيض، فلا يفوح عطره، ولا ينشق نشره، ولا يكشف سرّه، وذلك لأنّه كتم سرّه كما باح"[4]، فـ "أمّا" هنا شرطية تفصيلية توكيدية، وفي هذه الحالات يقترن جوابها بالفاء.

4. قد: أداة مختصّة بالفعل أيضًا، وتدخل على الماضي بشرط أن يكون مُتصرّفًا، وعلى المضارع تجرّده من جازم وناصب، وقد جعلها سيبويه مشابهة لـ (لما) في كونها لا يفصل بينها وبين الفعل بغيره، وهو جواب لقوله (أفعل) كما كانت (ما فعل) جوابًا لـ (هل فعل؟) إذا أخبرت أنّه لم يقع و(لا لما يفعل) و(قد فعل)، إنّما هما لقوم ينتظرون شيئًا، فمن ثمّ شبّهت (قد) بـ (لما) في أنّها لا تفصل بينها وبين الفعل، ومن أمثلتها في كتاب

[1]- المرجع نفسه، ص86.

[2]- عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط3، د. ت، 4/ 504.

[3]- ابن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، ص105.

[4]- المرجع نفسه، ص 63.

"كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار" كثيرة: "فجسدي في حرق، وجفوني في غرق، وكبدي في قلق، وقد جعلت ما رشح من عرقي شاهدًا لما لقيت من حرقي"[1].

وكذلك في: "فإذا رأيت ساعة نشور أموات النبات قد اِقتربت، ورأيت الأرض وقد اِهتزّت وبت، ونفخ في صور رعدي"[2].

ومن أمثلةٌ قد (التوكيد) والتي تدخل على الفعل الماضي كثيرة في كتاب "كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار"، وكما نجد "قد" تدخل على الفعل المضارع.

5. إنّما: المشهور في كلام النحاة حول هذه الأداة أنّها تُشبه (إنّ)، ذلك أنّ أصلها (إنّ) دخلت عليها (ما) فكفّتها عن العمل، فإنّ ذلك يدفعها إلى مجيء الأفعال بعدها، وهي أداة حصر وتوكيد، ومن أمثلتها: "إنّما أنوح حزنًا لا طربًا، وأبوح ترحًا"[3]، "أوقعك الرأي المعكوس حتى خرجت من منزلك المأنوس، وإنّما أخرجته من مسكنك لجنايتك على الساكن، وتحرّيك للأمر القاطن"[4]، ففي هذين المثالين تندرج ضمن التوكيد.

6. ضمير الفصل: ويُعرف بأنّه ضمير يتوسّط بينه وبين المبتدأ أو خبره قبل دخول العوامل اللفظية وبعده، إذا كان الخبر معرفة أو مضارعًا في اِمتناع دخول حرف التعريف عليه. ومن أمثلته: "وما ذاك من قوّتي ولا حولي، فبياض هو العلم المعلّم، واِصفراري هو السقم المبرم"[5]، بحيث يأتي ضمير الفصل للتأكيد على الكلام وغيره.

---

[1]- المرجع نفسه، ص51.

[2]- المرجع نفسه، ص53.

[3]- ابن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، ص 75.

[4]- المرجع نفسه، ص 87.

[5]- المرجع نفسه، ص 67.

7. القسم: اِرتبط مفهوم القسم مع تعدّد أشكاله وأدواته في اللغة العربيّة بمعنى التوكيد إلى حدّ القول فيه: إنّ القسم هو التوكيد، والعكس غير صحيح، ومن نصوص "سيبويه" في هذا المعنى: "اِعلم أنّ القسم توكيد لكلامك، فإذا حلفت على فعل غير منفيّ لم يقع لزمته اللام، ولزمت اللام الخفيّة أو الثقيلة في آخر الكلمة، وذلك قولك: "والله لأفعلن""[1].

لأنّ القسم يتمّ تأكيد الخبر، وهو الأداة التي تُستخدم من أجل تأكيد المعنى وعدم التشكيك فيه، ومن أمثلته: "تالله لقد فاز أهل الخلوات، وإمتاز أهل الصلوات، ومنع من الجواز أهل الغفلات، فإفهم الإشارات"[2]، وقوله: "ثمّ اِلتفت فإذا دودة القزّ ممدودة، وليست في الجملة معدودة، فقالت: "تالله ليست الرجولة بالصور والهياكل، ولا الفحولة بترك المشارب والمآكل""[3].

2. مفهوم الإنشاء:

قسّم النحويّ الكلام إلى ثلاثة شعب: اِسم وفعل وحرف جاء لمعنى، وجاء البلاغيّ فنشر الكلام إلى شطرين: خبر وإنشاء، فما حدّ الإنشاء لغة واِصطلاحًا؟

أ. لغة: وُرِدَتْ كلمة "الإنشاء" في كثير من المعاجم، ومصدرها الفعل أنشأ، يُقال: "أنشأ فلان يحكي حديثًا؛ أي جعل يحكيه، وهومن أفعال الشروع، وأنشأ يفعل كذا: اِبتدأ وأقبل...، وقال ابن جني في تأدية الأمثال على ما وُضعت عليه: "يؤدّي ذلك كلّ موضوع على صورته التي أُنشئ في مبدئه عليها،

[1]- سيبويه، الكتاب، 104/3.

[2]- ابن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار،ص91.

[3]-المرجع نفسه، ص123.

فاِستعمل الإنشاء في الغرض الذي هو الكلام"[1]، وهذا ما يُبيّن انّ الإنشاء في أوّله كان للحكي والكلام فقط.

كما نجد أنّ لفظة "الإنشاء" في المعجم الوسيط لا تخرج عن الحكي والشروع والتأليف، ومن ذلك: أنشأ فلان يحكي الحديث، وأنشأ السحاب يُمطِر، الشيء أحدثه وأوجده، وأنشأ الشاعر قصيدة، أو الكاتب مقالة: ألفظها...، والإنشاء عند الأدباء: فنّ يعلّم به جمع المعاني والتأليف بينها، تنسيقها ثمّ التعبير عنها بعبارات أدبية بليغة"[2] ، ومثال ذلك قوله تعالى: "إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً" سورة الواقعة –الآية 35–، أي أوجدناهنّ على غير مثال ولا شبه، وأنشأ القصيدة، أوجدها.

وعليه، فإنّ الإنشاء بمعنى أنشأ، يُنشئ، إنشاءً، فهو مُنْشِئٌ، والمفعول مَنْشَأ[3].

ب. اِصطلاحًا: إنّ الإنشاء يختلف عن الخبر من حيث الصدق والكذب، فالإنشاء حسب فاضل صالح السامرائي هو: "كلّ كلام لا يحتمل الصدق والكذب"[4]، فعدم اِحتمال الأسلوب الإنشائي للصدق والكذب، إنّما يكون بالنظر إلى ذلك الأسلوب الإنشائي بغضّ النظر عمّا يستلزمه من معنى خبري، وإذ أنّ كلّ أسلوب إنشائي يستلزم خبرًا يحتمل الصدق أو الكذب.

[1]– مُحَمَّد مرتضى الحسني الزبيدي، تاج العروس من جوالتر القاموس، تح: عبد الستار أحمد خراج، مطبعة حكومة الكويت، د. ط، 1965م، ج1، ص466.

[2]– مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004، ص950.

[3]– أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، باب النون، المجلد 3، 2007، ص2208.

[4]– فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر، الأردن، ط2، 2007، ص170.

ويقول أحمد الهاشمي: "ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته نحو: اِرحم، اِغفر، فلا ينسب إلى قائله صدق أو كذب... أو ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقّق إلّا إذا تلفّظت به"[1] نحو قول القائل: "اللهمّ اِغفر واِرحم فلانًا: فهنا القائل لا ينسب إليه الصدق أو الكذب".

كما يأتي بمعنى: "الكلام الذي يُنشئه صاحبه اِبتداءً، دون أن تكون له حقيقة خارجية يُطابقها أو يُخالفها، فلا يحتمل لذلك الصدق أو الكذب"[2]، وفي اِصطلاح آخر للإنشاء: "هو ذلك الكلام الذي لا يحتمل صدقًا ولا كذبًا، وهو ما لا يحصل مضمونه إلّا إذا تلفّظت به"[3].

وممّا سبق بيانه، نستنتج أنّ الأساليب الإنشائيّة من أنواع علم المعاني، الذي بحثه البلغاء في علم البلاغة العربية، وهذه الأخيرة تضمّ نوعين: طلبية وغير طلبية، ولكلّ منها أساليبها وخصائصها، وعليه، فإنّ الإنشاء في البلاغة هو: (كلام لا يحتمل الصدق ولا الكذب).

أقسام الإنشاء:

حظيت أساليب الإنشاء الطلبي في الدراسات العربية بِاهتمام العديد من الدارسين وعلماء اللغة، خاصّة البلاغيين منهم، لما لها من تلون في الأساليب الفنية، إذ إنّ الإنشاء الطلبي خمسة أنواع هي: الاِستفهام، النداء، الأمر، التمني والنهي، وفي هذا سنتطرّق إلى المفاهيم اللغوية والاِصطلاحية لهذه الأساليب، ثمّ نُبيّن أقسام كلّ منها (أدواته، أغراضه البلاغية).

[1]- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تدقيق" يوسف الصليبي، المكتبة العصرية، لبنان، د. ط، 1999، ص69.

[2]- الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط1، 1992، ص107.

[3]- يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، علم المعاني، علم البديع، دار النشر والتوزيع الميسرة، الأردن، ط1، ص69.

1 الإنشاء الطلبي:

كان الإنشاء الطلبي موضع اِهتمام البلاغيين لِاختصاصه بكثير من الدلالات البلاغية، ولا يكاد البلاغيّون يُلقون عناية خاصّة بالإنشاء غير الطلبي لقلّة المباحث المتعلّقة به، ولأنّ أكثر أنواعه في الأصل أخبار نُقِلت إلى معنى الإنشاء.

للإنشاء الطلبي مفاهيم مُتعدّدة أبرزها: "كلام يُلقى لإيجاد مطلوب غير متحقّق في الخارج بِاعتقاد المتكلّم، ولو كان الشيء مُتحقّقًا في الخارج لقُبح طلبه عقلًا، ووجب إرادة معنى آخر غير الطلب"[1].

والأسلوب الإنشائي عند أحمد الهاشمي هو الذي: "يستدعي مطلوب غير حاصل في اِعتماد المتكلّم وقت الطلب، ويكون بخمسة أشياء (الأمر، النهي، الاِستفهام، التمني، النداء)"[2],

ونجد فاضل صالح السامرائي يُعرّفه بأنّه: "ما يستدعي مطلوبًا كالأمر والنهي والتمني والنداء والاِستفهام والعرض والتحضيض، نحو: (قل الحقّ ولو على نفسك) و(ولا تفتروا على الله كذبًا) و(ليت الشباب يعود يومًا) و(يا خالد هل تسافر؟) و(ألا تستريح) و(هلّا أخبرته)"[3].

وفي مفهوم آخر: "هو ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب"[4]، فعلى حدّ تعريف البلاغيّين، هو ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل في وقت، أو هو كما يقولون بعبارة أخرى: "ما يتأخّر وجود معناه عن وجود لفظه، والأسلوب الإنشائي الطلبي فيه تنوّع لأساليب في التعبير المجازي عن المعاني المختلفة".

- **أساليبه:**

[1]– السيد جعفر السيد باقر الحسيفي، أساليب المعاني في القرآن، مؤسّسة بوستان كتاب، العراق، ط1، 2007، ص51.

[2]– أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص55.

[3]– فاضل الصالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ص174.

[4]–بكريشيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، ج1، دار العلم الملايين، لبنان، ط1، ص73.

تعدّدت الأساليب الطلبية وذلك حسب المعنى الذي يوحي إليه سياق الكلام، نبدأ الحديث عن أسلوب الاِستفهام لنتعرّف عليه وعلى أدواته، ولنكشف عن أغراضه البلاغية، وأثره على المتلقّي.

1/ الاِستفهام: تزخر المعاجم العربية بالمفاهيم اللغوية للاِستفهام، ولعلّ أهمّها ما يلي:

- جاء في العين للخليل في باب (الفاء): "فهمت الشيء فَهَمًا وفَهْمًا: عرفْتُه وعَقَلتُه، وفهمت فلانًا وأفْهَمتُه: عرفته"[1].
- وورد في لسان العرب في مادّة (فهم): "الفهمُ: معرفتك الشيء بالقلب، فَهِمه فهْمًا وفَهَمًا: عَلِمَهُ"[2].
- من خلال ما سبق ذكره، نُلاحظ أنّ هذه المفاهيم اللغوية تصبّ في معنى واحد للاِستفهام، وهو طلب الفهم من المجهول.

في الاِصطلاح:

تعدّدت المفاهيم الاِصطلاحيّة للاِستفهام في كتب البلاغة العربية، ويظهر ذلك فيما ذهب إليه أحمد الهاشمي بقوله: "طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل، وذلك بأداة من اِحدى أدواته، وهي: **(الهمزة)، (هل)، (ما)، (من)، (متى)، (أيّان)، (كيف)، (أين)، (أنّى)، (كم)**"[3].

ويرى عبد العزيز عتيق أنّه: "طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل بأداة خاصّة"[4]، كما رأى حسن عباس أنّ الاِستفهام: "طلب الفهم، وهو اِستخبارك عن الشيء الذي لم يتقدّم لك علم به، وبعضهم

---

[1]- الخليل (الخليل بن أحمد الفراهيدي)، كتاب العين، تح: عبد الحميد شذاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ج3، باب (الفاء)، ص344.

[2]- ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين بن مُحَمَّد بن مكرم ابن منظور الاِفريقي المصري، ت711)، لسان العرب، دار صادر، لبنان، د. ط، د. ت، ص459.

[3]- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص73.

[4]- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، ص88.

يفرّق بين الاِستفهام والاِستخبار، وليس في ذلك جدّ عناء في علم البلاغة"[1].وبناءً على ما سبق الإشارة إليه، نجد أنّ الاِستفهام عند علماء البلاغة هو طلب الشيء وطلب العلم به.

قسّم البلاغيون أدوات الاِستفهام حسب التصوّر والتصديق إلى ثلاثة اقسام، وذلك حسب الطلب الذي تدعو إليه الحاجة:

~ **الأوّل:** "ما يطلب به التصوّر تارة والتصديق تارة أخرى، وهو (الهمزة) وحدها"[2].

"فالتصوّر هو إدراك المفرد، نحو: أعليّ مُسافر أم سعيدٌ؟ تعتقد أنّ السفر حصل من أحدهما، ولكن نطلب تعيينه"[3] و"التصديق هو إدراك النسبة الواقعة بين الطرفين ثبوتًا أو نفيًا"[4]

~ **الثاني:** "ما يختصّ بطلب حصول التصديق فقط، وهو (هل)، كقولك: هل زيد منطلق؟.

~ **الثالث:** ما يختصّ بطلب حصول التصوّر فقط، وهو بقية أدوات الاِستفهام التي لا يكون السؤال بها إلّا عن المفرد الذي يُعنى بها عنه، فيستقيم بـ (من) عن الشخص، وبـ (ما) عن الشيء، وبـ (أنّى) عن المكان، وبـ (كيف) عن الحال"[5]، ومنه، فإنّ الاِستفهام ينقسم إلى ثلاثة أقسام، وذلك حسب الطلب الذي يخرج من سياق الكلام.

أدوات الاِستفهام وأنواعها:

1/ أنواعها:

[1]– فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، دار الفرقان، ط1، 1985، ص167.

[2]– بسيوني عبد الفتاح، (بسيوني عبد الفتاح فيود)، علم المعاني (دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني)، مؤسّسة المختار، القاهرة، مصر، ط2، 2004، ص306.

[3]– أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص80.

[4]– بسيوني عبد الفتاح، علم المعاني (دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني)، ص306.

[5]– قيس إسماعيل الأوسي، أساليب الطلب عند النحويّين والبلاغيّين، بيت الحكمة، العراق، د. ط، 1988، ص318.

⟸ **حروف الاِستفهام:** جاء في أسرار البلاغة لِابن الأنباري أنّ حروف الاِستفهام ثلاثة هي: "الهمزة، أم وهل"[1].

⟸ **أسماء الاِستفهام:** وُرد في الأساليب الإنشائيّة في العربيّة أنّ أسماء الاِستفهام هي: "من، ما، أي وكم"[2].

⟸ **ظروف الاِستفهام:** وأمّا الظروف فهي: "متى، أين، كيف، أيّان وأنّى"[3].

وبناءً على هذا، نجد أنّ علماء البلاغة في تقسيم أدوات الاِستفهام، جعلوا لكلّ أداة طريقة اِستعمال تختصّ بها خلاف غيرها من الأدوات.

2/ الأدوات ومعانيها:

الهمزة: "تدخل على الجملتين الاِسمية والفعلية في الإثبات والنفي، ولها الصدارة"[4]، وتُستعمل لطلب **التصور والتصديق** وهي الأداة الوحيدة التي لا يتقدّم عليها حرف العطف.

أ/ التصديق: وهو ما يكون الجواب عنه بالإثبات أو النفي، والجواب هنا يكون بـ "نعم"، إن أُريد الإثبات، وبـ "لا"، إن أُريد النفي، وهذا ما جاء به في كتاب كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار في قوله:

أأحبابي وصلتهم أم صددتم فعبدكم على حفظ الأمانة

---

[1]- الأنباري (عبد الرحمان بن مُحَمَّد بن عبيد الله)، أسرار العربية، تح: مُحَمَّد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، ص193.

[2]- إبراهيم عبود السامرائي، الأساليب الإنشائيّة في العربية، ص34.

[3]- المرجع نفسه، ص34.

[4]- بوعلام بن حمودة، كشاف الكلام العربي (أسمائه، حروفه، ....، وإعرابه)، دار النعمان، الجزائر، د. ط، 2013، ص243.

مقيمٌ لا يُزَحزِحُهُ عذول ولا يثني معنّفه عِنافَه

حملت لأجلكم ما ليس تقوى جبال أن تحملها وزانه

فحفظ العهد ما وافاه حرّا ولو أودي هواه به وشأنه[1]

ب/ التصور: وهو إدراك المفرد؛ أي تعيينه، ويكون الجواب عنه بالتعيين، لقوله تعالى:

"أذلك خيرٌ نُزُلًا أم شجرة الزقوم" **سورة الصافات –الآية 62–**

- **هل:** وتكون للتصديق فقط، ويكون بـ "نعم" في حالة الإثبات و"لا" في حالة النفي، نحو: هل من داعٍ فأستجيب له؟[2].

وجاء ابن فارس في قوله: "لطلب التصديق فحسب، تقول: هل قام زيد؟، وهل عمر ناجح؟، فتسأل عن نسبة القيام للأوّل والنجاح للثاني، لذا يكون جوابك بـ "نعم"، أو "لا"، فإفادتك النسبة أو نفيها"[3]

- **كم:** "ما يستقيم بها عن عدد مُبهم يُراد تعيينه نحو: كم رجلًا سافر؟ ولا تقع إلّا في صدر الكلام كجميع أدوات الِاستفهام"[4]، ومثال ذلك في كتاب ابن غانم المقدسي "كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار": "كم لي على سائقي من أيدي أوثقت بشاكلي".

- **أيّ:** ويُطلب بها تعيين شيء، وتصلح للعاقل مثل: "أيّ صديق زارك؟" ولغير العاقل مثل: "أيّ كتاب قرأت؟"، وللزمان مثل: "أيّ ساعة سافرت؟" وللمكان مثل: "أي جهة حللت؟"، وهي دائمًا

[1]– عز الدين عبد السلام بن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، تح: عبد الوهاب مُحَمَّد، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، ص80.

[2]– المرجع نفسه، ص110.

[3]– ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا)، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، المكتبة السلفية، مصر، د. ط، 1910، ص97.

[4]– ينظر: مصطفى غلاييني، جامع الدروس العربية (موسوعة في ثلاثة أجزائها)، شركة أبناء الأنصاري، لبنان، ط23، 1996، ص118.

بحسب ما تُضاف إليه"[1]، وهذا ما ورد في قول غانم المقدسي: "فلأيّ شيء جئتم؟ وبأيّ شيء أتيتم؟"[2].

- **كيف:** "يُسأل بها في الحال، نقول: كيف مُحَمَّد؟ أي: كيف حاله؟ وجوابه: هو صحيح معاني، أو مريض سقيم، كما يُسأل بها عن حقيقة الحال وتصوّره"[3]، لقول ابن غانم المقدسي "أما ترى إلى الهدهد لما حسنت سيرته، صفت سريرته، كيف نفذت بصيرته، فتراه يُشاهد بالبصيرة ما تحجبه الأرض عن سائر البشر، فيرى في باطنها الماء الثجاج"[4].
- **متى:** يُطلب بها تعيين الزمان، ماضيًا كان أو مستقبلًا، نحو: سبحانك اللهمّ وبحمدك إذا كان، ثمّ اِشتغال بمأكول ومشروب، فمتى يتفرّغ المحبّ للمحبوب، ومتى ينال الطالب شرف المطلوب؟ فالدون كلّ الدون[5].
- **أيّان:** "ويُسأل بها عن الزمان المستقبل خاصّة"[6].
- **أين:** يُطلب بها تعيين المكان، نحو: أين كنت في ليلة الغار، وأنا أستر النبي المختار، وأصدّد عنه صناديد الكفّار، وأردّ عنه ما لا يردّه المهاجرون والأنصار"[7].

---

[1]– عبد الكريم محمود يوسف، أسلوب الإستفهام في القرآن الكريم (غرضه، إعرابه)، مطبعة الشام، دمشق، ط1، 2000، ص12.

[2]– عز الدين بن عبد السلام بن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، ص134.

[3]– إبراهيم عبود السامرائي، الأساليب الإنشائيّة في العربية، ص40.

[4]– عز الدين عبد السلام بن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار ص110.

[5]– عز الدين عبد السلام بن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار ص133.

[6]– عيسى العاكوب وعلي سعد الشتوي، الكافي في علوم البلاغة العربية (المعانين البيان، البديع)، مطبعة الانتصار، الإسكندرية، ط1، 1993، ص270.

[7]– عز الدين عبد السلام بن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار ص127.

اِعتنى علماء البلاغة عناية كبيرة بالاِستفهام، واعتبروه أسلوبًا من الأساليب الإنشائيّة الطلبيّة، وجعلوه ذلك الطالب للاِستفسار عن شيء، ووضعوا له أدوات عدّة، يستفهم بها، إذ "تخرج ألفاظ الاِستفهام عن معانيها الأصليّة لمعانٍ أخرى تُستفاد من سياق الكلام، كالنفي، الإنكار، التقرير، التوبيخ، التعظيم، التحقير، الاِستنباط، التعجب التسوية، التمني، والتشويق"[1]، وعليه، نعرض هذه الأغراض البلاغية التي خرج إليها الاِستفهام في كتاب اِبن غانم المقدسي، "كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار".

❁ **الإنكار**: وهو الاِستفهام كما يستنكره المتكلّم، والإنكار عند البلاغيين يكون على أحد الوجهين:

❶ **إنكار التوبيخ (إنكار الواقع)**: ويكون على أمر وقع في الماضي، بمعنى ما كان ينبغي أن يكون، نحو: أعصيت ربّك؟، أو لا ينبغي أن يكون، نحو: أتعصي ربّك؟ وهو الإنكار التوبيخي.

❷ **إنكار التكذيب (إنكار الوقوع)**: بمعنى الأفعال المنكرة غير واقعة، والمراد نفي وقوعها حتى لا يظنّ أنّها يمكن أن تقع[2].

وممّا جاء من الاِستفهام الإنكاري في كتاب ابن غانم المقدسي "كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار":

- قال: "سبحان الله! أينكر فضلي عليكم وأنا الباعث طلي وويلي إليكم، وهل أنتم إلّا أطفال جوري، ونسل وجودي، كم ملأت الأرض برًّا ببرّي، والبحر دُرًّا بدرّي[3]، ففي هذه الفقرة وُرد بـ (الهمزة) لما لها من

[1]- علي الجازم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة (البيان، المعاني، البديع)، دار المعارف، القاهرة، مصر، د. ط، 1999م، ص199.

[2]- ينظر: قطبي الطاهر، بحوث في اللغة الاِستفهام البلاغي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د؟ ط، د. ت، ص33- 34.

[3]- ابن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، ص73.

حيويّة، حيث تترك جرسًا ورنّانًا في أذن السامع والاِستفهام هنا جاء بمعنى (الإنكار)، إنكار فضل المطر والدور الذي يؤدّيه إحياء الطبيعة.

❁ **التعظيم**: من الأغراض البلاغية التي يُفيدها التعظيم الذي يكون في "مقام الإشادة والمدح" وذلك في كتاب غانم المقدسي، أين قال: "أين كنت يا مسكين، وأنا في الجنان أطوف بين الظلال والقطوف، أدور دورها، وأزور حورها، وأسكن قصورها، شرابي التسبيح وطعامي التقديس"[1]، وقد جاء الاِستفهام هنا بصيغة "أين" وذلك لغرض التعظيم.

وقال أيضًا: "فقال لهم الملك: فلأيّ شيء جئتم؟ وبأيّ شيء أتيتم؟"، قالوا: "أتيناك بذلّة العبيد، وإنّك لتفعل ما تريد"، وقال لهم: "اِرجعوا من حيث أتيتم، أنا الملك إن شئتم أو أبيتم، وإنّ الله لغنيّ عنكم"، قالوا: "هو الغنيّ ونحن الفقراء إليه، وهو القويّ ونحن الضعفاء إليه، فبأيّ قوّة نرجع وقد ذهبت قوانا، وتحلّلت عرانا، واِضمحلّ وجودنا ممّا عرانا؟"، وانطلاقًا من هذا، يظهر الاستفهام هنا والغرض منه هو التعظيم، فالشاعر هنا يبيّن عظمة الله تعالى ومدى قدرته على عباده.

❁ **التعجّب والتعجيب**: من الأغراض البلاغية للاِستفهام، "ويسمّى اِستفهامًا تعجبيًّا حين يكون صادرًا من متعجّب فعلًا، ويُسمّى اِستفهامًا تعجيبيًّا حين يكون الغرض من إيراده إثارة العجب عند من يُخاطب به أو يتلقّاه، ومنه ما يكون صادرًا عن الله عزّ وجلّ، إذ ليس من صفاته سبحانه وتعالى أن يتعجّب اِستغرابًا واِستبعادًا"[2].

ويظهر الاِستفهام بمعنى التعجّب في كتاب ابن غانم المقدسي "كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار" في قوله: "فأمّا أهل الأنفة فقالوا: سبحانك اللهمّ وبحمدك، إذا كان ثمّة اِشتغال بمأكول ومشروب،

[1]- المرجع نفسه، ص85.

[2]- عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، البلاغة العربية (أسسها، علومها، وفنونها)، دار القلم، سوريا، ط1، 1996، ج1، ص278.

فمتى يتفرّغ المحبّ للمحبوب، ومتى ينال المطالب شرف المطلوب؟ فالدون، كلّ الدون من رضي بصفقة المغبون، نحن لا نريد إلّا الملك الذي خرجنا من أجله على المحاجر"[1]، وفي هذا التعجب من قدرة الله تعالى وحمده على بركته على عباده، فالعبد دائمًا يحمد ويتعجّب من قدرة الله عزّ وجلّ.

❁ **الإِستبطاء:** وذلك أن يكون الإِستفهام "شكاية عن البطء أو نفي عن تأخر إيجاد الفعل"[2]، "نحو:

فبينما أنا مستغرق في لذّة كلامهن معتبر بحكمه وأحكامه، إذ رأيت أمامه حمامة، قد جعل طوق العبودية في عنقها علامة، فقلت لها: حدثيني عن شوقك، وأوضحي لي ما حكمة تطويق طوقك؟ فقالت: أنا المطوقة بطوق الأمّة، المتقلدة تقليد الصيانة، فأنا لحمل الأمانة قد ندبت"[3].

جاء الإِستفهام بصيغة "ما"، فابن غانم المقدسي هنا يبيّن دور الحمامة، فهي من أشدّ الطيور ذكاءً، ومن طبعه أن يطلب وكره ولو أرسل من ألف فرسخ،وتحمل الأخبار وتأتي بها من البلاد البعيدة وتحمل الأمانة.

❁ **التسوية:**من المعاني البلاغية التي يُفيدها الإِستفهام "الداخل على جملة يصحّ حلول المصدر محلّها ويأتي بعدها معادل"[4].

❁ **التحسر:**من بين الأغراض البلاغية التي يُفيدها الإِستفهام "يرد الإِستفهام مرادًا به التحسر والتألّم، وذلك في مقام يظهر فيه المستفهم حزنه وتألّمه وتحسّره على ما فاته"[5].

من خلال هذا الحديث الذي دار حول أسلوب الإِستفهام، نستنتج أنّ الأساليب الإنشائيّة الطلبيّة في كتاب ابن غانم المقدسي "كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار" يتمثّل في توظيف مختلف الحكم، حيث

---

[1]- المرجع نفسه، ص 133.

[2]- إبراهيم عبود السامرائي، الأساليب الإنشائيّة في العربية، ص 56.

[3]- ابن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، ص78.

[4]- عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، البلاغة العربية، ص288.

[5]- بسيونيعبد الفتاح (بسيوني عبد الفتاح بسيوني فيود)، علم المعاني (دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني)، مصرن مؤسسة المختار، ط2، 2004، ص320.

صيغت هذه الحكم على شكل اِستفهام الذي يخرج إلى أغراض بلاغيّة منها: الإنكار، التعجّب، التعظيم، التحسّر، النفي، الافتخار، والتوبيخ، وعليه، فالاِستفهام البلاغي يُعطي للكلام حيوية ويزيد من الإقناع والتأثير به، كما يجذب اِنتباه السامع ويترك صوتًا رنّانًا في أذنه.

لقول ابن غانم المقدسي في "كشف الأمر في حكم الطيور والأزهار": فناداه الحفاش وهو في اِرتعاش: إيّاك والزحام، فقد حام حول الحمى حام، وهو من ذوي الأرحام، فما أذن القسام إلّا لسام.

فلا المنى يدرك بسم الفتى ولا العلى يعلو بحدّ الحسام[1]

2/ أسلوب النهي:

في اللغة: وُردت لفظة النهي في اللغة في أبواب مستقلّة في المعاجم العربية، وبصيغ مختلفة، جاء في متاب العين: "النهي خلاف الأمر، نقول: نَهَيْتُهُ عَنْهُ، في لغة نَهَوْتُهُ عنه"[2]، وورد في لسان العرب في مادّة (نهى) خلاف الأمر، نَهاهُ، ينهاهُ، نَهيًا، فاِنتهى وتناهى: كفّ"[3].

كما جاء في أساس البلاغة في مادّة (ن، هـ، ي): "نَهاه وتناهوا عن المنكر، واِنتهى الشيء: بلغ النهاية"[4].

من خلال هذه التعاريف اللغويّة التي جاءت بها المعاجم وسائر المعاجم العربية الأخرى، نجد أنّ معنى النهي هو: "طلب الكفّ عن القيام بالشيء".

اصطلاحًا: تنوّعت المفاهيم الاِصطلاحيّة للنهي، وتعدّدت في جلّ كتب البلاغة العربية، فرغم هذا التعدّد إلّا أنّها تتّفق على معنى واحد.

---

[1]–ابن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، ص 89.

[2]– الخليل (الخليل بن أحمد الفراهدي)، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ص274.

[3]– ابن منظور، لسان العرب، د. ط، د. ت، مادّة (ن هـ ي) ص343– 344.

[4]– الزمخشري (أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد)، أساس البلاغة، تح: مُحَمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1998، ج2، مادّة (ن هـ ي)، ص314.

يرى الزركشي أنّ النهي: "اقتضاء كفّ عن فعل، فالاِقتضاء جنس، و"كفّ" مخرج للأمر لاِقتضائه غير الكفّ"[1].

وقيل: "هو طلب الكفّ عن الفعل على وجهه الاِستعلاء (...) طلبه عزّ وجلّ من المؤمنين أيضًا تقديس أوامره ونواهيه، وعدم التغيير فيها بالآية الشريفة"[2]: "يا أيّها الذين آمنوا لا تُحلّوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا ءامين البيت الحرام يبتغون فضلًا من ربّهم ورضوانًا وإذا حللتم فاِصطادوا ولا يجرمنّكم شنئان قوم أن صدّوكم في المسجد الحرام أنْ تعتدوا وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واِتّقوا الله إنّ الله شديد العقاب" **سورة المائدة –الآية 2–**

ونجد السامرائي سار على المنهج ذاته، وأعطى تعريفًا بقوله أنّ النّهي هو: "طلب الكفّ عن الفعل، أو الاِمتناع عنه على وجه الاِستعلاء والإلزام"[3].

من خلال ما سبق الإشارة إليه في التعريفات الاِصطلاحية السابقة، نجد أنّ النهي هو طلب الكفّ عن الفعل على وجه الاِستعلاء والإلزام، وبحسب ما ذهب إليه البلاغيون لصيغ النهي، فللنهي صيغة واحدة وهي: "المضارع المقرون بـ (لا) النافية"[4]، وهذا ما جاء به ابن غانم المقدسي في كتابه "كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار": "فأمّا الأبيض، فلا يفوح عطره، ولا ينشقّ نشره، ولا يكشف ستره، وذلك لأنّه كتم سره فما باح، وأخفى عطره فما فاح، وملك أمره، فلا تلعب به الاِلتواءات والرياح"[5]، فالنهي هو طلب الكفّ عن

[1]– الزركشي (بدر الدين بهار بن عبد الله الشافي)، البحر المحيط في أصول الفقه، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط2، 1992، ص426.

[2]– عبد العزيز أبو سريع ياسين، الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية، مطبعة السعادة، عمان، ط1، 1989، ص313.

[3]– إبراهيم عبود السامرائين الأساليب الإنشائية في العربية، ص30.

[4]– أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص77.

[5]–المرجع نفسه، ص63.

الفعل أو الشيء على وجه الاِستعلاء، كما ذكرنا سالفًا، وله صيغة واحدة، وهي المضارع المقرون بـ "لا الناهية، وهذا ما يُميّزه عن غيره من الأساليب بِانفراده بصيغة واحدة.

"قد تخرج صيغة النهي عن معناها الحقيقي إلى معانٍ أخرى، تستفاد من السياق، وقرائن الأحوال، كالدعاء، الاِلتماس، التمني، الإرشاد، التوبيخ، التيئيس، التهديد والتحقير"[1]، لذلك حسب المواقف والأحوال أثناء الكلام.

3/ التمني: من بين المعاني البلاغية التي يخرج إليها النهي: "وهو طلب موجّه لغير العقلاء"[2]، في قوله: "فقلت له: ويحك، كم بينك وبين البوم من الحظّ المقسوم، فأنت أيّها العاني نظرت إلى الصور، وهو نظر إلى المعاني، فأنت تفرح بالفاني، تغترّ بالأماني، فقال لي: "يا عاني، يا من بالشماتة تعاني، لا تظهر لي الشماتة ولا تذكر الحزين ما فاته".

هذه جلّ المعاني التي خرج إليها النهي –غرض التمني– فهو ظاهرة فنية جمالية، له دلالات وإيحاءات تلفت انتباه السامع والقارئ، وتؤثّر في نفس كلّ منهما، كما تعرف هذه الدلالات والأغراض في ظلّ الجوّ النفسي الذي يعيشه الكاتب أو الشاعر.

أسلوب التمني:

[1]– علي جازم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص187.

[2]– إبراهيم عبد السامرائي، الأساليب الإنشائية في العربية، ص32.

في اللغة: تعدّدت التعريفات اللغويّة للفظة التمني، وتنوّعت في المعاجم العربية، ولعلّ أهمّها، ما ورد في مقاييس اللغة في مادّة (منى): "الميم والنون والحرف المعتل أصل واحد صحيح، يدلّ على تقدير شيء ونفاذ القضاء به، منه قولهم: منى له الماني، أي قدْر المقدِّر"[1].

وقيل فيه أيضًا: منى الرجل الشيء: جعله يتمنّاه، تمنّى الشيء: قدْر وأحبّ أن يصير إليه (...) والأمنية: ما يتمنّاه الإِنسان (ج) أمانِ، وأمانيٌّ"[2].

كما عرّفه الأصفهاني: "التقدير: منى لم الماني: أي؛ قدْر لك المقدِّرُ (...) والأمنية الصورة الحاصلة في النفس من تمنّي الشيء[3].

من خلال التعريف اللغوي، نجد أنّ التمني يعني تقدير الشيء والصورة الحاصلة في نفس المتمنّي.

اصطلاحًا: التمني أسلوب من الأساليب الإنشائيّة الطلبيّة، وقد عرّفه حسن عباس بأنّه: "طلب حصول الشيء المحبوب دون أن يكون لك طمع وترقّب في حصوله (...)، وقد يكون ممكنًا أو مستحيلًا، فالنفس كثيرًا ما تطلب المستحيل"[4]ز

كما يُعرِّفه آخر: "طلب الشيء المحبوب الذي لا يُرجى ولا يُتوقّع حصوله، ولا يُشتَرَط إمكان المتمني، بل المهمّ هذه الرغبة النفسية الحبيسة الكامنة في القلب، تنطلق في صورة المتمني والتمني" [5]، وهو: "طلب محبوب مستحيلًا كان ك "ليت الشباب يعود يومًا، أو ممكنًا غير مطموع في حصوله".[1]

---

[1]– ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (م. ن. ى)، 276/5.

[2]– إبراهيم مدكور، المعجم الوجيز، معجم اللغة العربية، مصر، ط1، 1980، ص592.

[3]– الأصفهاني الحسين بن مُحَمَّد الراغب، المفردات في غريب القرآن، تح: مُحَمَّد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان، د. ط، د. ت، مادّة (م، ن، ى)، ص475– 476.

[4]– فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص156.

[5]– صباح عبيد دراز، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1986، ص682.

وبناءً على هذه التعريفات والمفاهيم الاِصطلاحيّة، نذهب إلى أنّ التمني هو طلب الشيء المحبوب في النفس، دون توقّع حصوله، وقبل الغوص في الأغراض البلاغيّة للتمنّي، لا بدّ من معرفة أدواته وأنواعها وماهية كلّ واحدة منها، حسب ما اِتّفق عليه البلاغيّون، ويتكوّن التمنّي من أربع أدوات حسب تقسيم البلاغة العربيّة واحدة أصليّة وهي (ليت)، وثلاث غير أصلية ناتجة عنها.

الأدوات ومعانيها:

⟸ **ليت:** تتكوّن في المستحيل غالبًا، وفي الممكِن قليلًا، فالأوّل يظهر في قول الشاعر:

ألا ليت الشباب يعود يومًا فأُخبِرَه بما فعل المشيب[2]

⟸ **لو:** "تُفيد التمنّي؛ أي تحقيق الأمر المحبوب المرجو"[3].

⟸ **هل:** "للتمنّي بصورة الممكن الذي لا نجزم بِانتقائه، وذلك لكمال العناية به والشوق إليه"[4].

⟸ **لعلّ:** وقد يتمنّى بـ(لعلّ) فتُعطي حكم (ليت)، ولا تستعمل إلّا في الممكن.

تُعتبر هذه الأدوات من أدوات أسلوب التمنّي الذي يُغيّر من الأساليب الإنشائيّة الطلبيّة، ويعرف "التمني" بأنّه طلب الشيء المحبوب في النفس، كما ذكرنا سالفًا، وقد يخرج التمني عن معناه الأصلي إلى معاني أخرى مجازية، تفهم من سياق الكلام، نذكر منها: الاِستبعاد، الندبة والتفجّع، الندم والحسرة.

---

[1]- محمود العام المنزلي، الأصول الوافية الموسومة بأنوار الربيع في (الصرف، النحو، المعاني، البيان والبديع)، مطبعة التقدم العلمية، ط1، 1901، ص189.

[2]- عمر عبد الله يوسف، مقابلة الحروف غير العاملة في القرآن الكريم (الوصف النحوي والوظائف الدلالية)، د. ط، 2010، ص169.

[3]- خضر أبو العينين، معجم الحروف العربي، المعنى، المبنى، الإعراب، دار أسامة، عمان، خضر، د. ط، 2004، ص349.

[4]- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص108.

الإستبعاد: من الأغراض البلاغية التي يُفيدها التمني "وفيه يكون التمني ممكن الوقوع، ولكن غير مطموع في حصوله"[1].

ومثاله قول ابن غانم المقدسي: "وما تمرّ بي ساعة، إلّا ولي فيها وظيفة طاعة، فهي تعْرف بالمواقيت، فأنا غالي القيمة، ولو شربتُ باليواقيت، فهذا حالي مع قيامي في عيالي، وإشفاقي على أطفالي، فأنا بين الدجاج أقنع بالهاء الأجاج"[2]، ويظهر التمني هنا في أداة التمني "لو شربت"، فهنا التمني ممكن الوقوع، إلّا أنّه غير مطموع في حصوله.

وقوله ايضًا:

يا دار هل يقضي لنا برجوع ويعود لي يا عين طيب هجوعي

يا سادة عاد المشوق بذكره يقضي أسًا في ساعة التوديع

قلبي ليوم فراقكم متوجّع وا رَحْمتاه لقلبي الموجوع

فرّقتم ما بين عيني والكرى ووصلتهم بين الأسى وضلوعي

جسمي معي والقلب بين خيامكم ما ضرّكم لو كان ثمّ جميعي[3]

والتمني في هذا البيت ورد بمعنى "التحسر" على ما فات، كأنّه يعبّر في شوق إلى الأحباب عند فراقهم في قوله: "فراقكم متوجّع" فهنا تعبير عن الحزن والأسى، التحسّر والندم، صيغة بلاغية يخرج عنه التمني، ومن خلال هذا نقول للتمني أدوات مختلفة تختلف باختلاف دلالتها والدور الذي تؤدّيه حسب الصيغة.

الأمر:

[1]- يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص92.

[2]- ابن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، ص92.

[3]- يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 86.

في اللغة: وُردت لفظة الأمر في أبواب مستقلّة في المعاجم العربية وبصيغ مختلفة: جاء في مقاييس اللغة لابن فارس في مادة (أمر): "الهمزة والميم والراء أصول حسنة، الأمر من الأمور، والأمر ضدّ النهي، والأمر النماء والبركة بفتح الميم، والمعْلم والعجب، فأمّا الواحد من الأمور، فقولهم: هذا الأمر رضيته وأمر لا أرضاه"[1].

كما ورد في محيط المحيط للبستاني في مادّة (أمر): "أمره، يأمُرُه، أمْرًا وإمارًا وآمرة، وأمر به ضدّ نهاه، أو طلب منه إنشاء شيء أو فعله، فهو آمر وذاك مأمور، وصيغة الأمر من أمر مَرْ بالحذف وأُومِر بعدمه"[2].

ووُرِد في تاج العروس الزبيدي: "مصدر أمر فلان علينا، يأمر، وأمر مُثلّثه إذا وَلِيَ"[3].

يتبيّن من خلال هذه المفاهيم اللغويّة أنّ الأمر يدلّ على الشيء وطلب الفعل كما يأتي نقيضها للنهي.

الاِصطلاح:

أوردت كتب العربية تعريفات عديدة للأمر، نذكر منها تعريف السامرائي: "هو طلب الفعل على وجهه الاِستعلاء والإلزام"[4]، وعلى المنهج ذاته سار مُحَمَّد النقراط بقوله: "هو طلب الفعل على وجهه الاِستعلاء مع الإيجاب والإلزام"[1].

---

[1]– ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام مُحَمَّد هارون، دار الفكر، بيروت، د. ط، د. ت، مادّة (أ. م. ر)، ص137.

[2]– بطرس البستاني، محيط المحيط (قاموس مطوّل للغة العربية)، مطابع تيجو، بيروت، طبعة جديدة، 1987، مادّة (أ. م. ر)، ص16.

[3]– الزبيدي (مُحَمَّد مرتاض الحسني)، تاج العروس، تح: إبراهيم الترزي ، مرا: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، د. ط، 1972، ج10، مادّة (أ. م. ر)، ص69.

[4]– إبراهيم عبود السامرائي، الأساليب الإنشائيّة في العربيّة، ص21.

ويقول الصعيدي: "ومن أنواع الإنشاء الأمر[2]: "فهو طلب الفعل على وجه الاِستعلاء"[3]، وقيل: "هو ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب"[4]، ولعلّ الملاحظ في هذه التعريفات الاِصطلاحيّة للأمر أنّها تتّفق في معنى الطلب والاِستعلاء ولإلزام.

صيغه: قسّم علماء البلاغة الأمر إلى: "أربع صيغ: فعل الأمر، والمضارع المقرون بلام الأمر، واِسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر"[5].

3/ فعل الأمر: "أي بفعل الأمر نحو: أكْرِمْ أباك وأمّك، ولا تستعمل إلّا مع المخاطب، فيكون الأمر بها مباشرًا من الآمر إلى المأمور وهو حاضر، أو في حيّز الحاضر في المقام"[6]، نحو:

تأمَّلْ في رياض الروض وانْظُرْ إلى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين شاخصاتٍ بأحداق كما الذهب السبيك

على قضيب الزبرجد شاهدات بأنّ الله ليس له شريك

وأنّ محمّدا خير البرايا إلى الثقلين أرسله المليك[7]

---

[1]– عبد الله مُحَمَّد النقراط، الشامل في اللغة العربية، دار الكتب الوطنيّة، بنغاري، ليبيا، ط1، 2003، ص150.

[2]– عبد المعتال الصعيدي، بنية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة، د. ط، 1999، ج2، ص46.

[3]– ابن عثيمين (مُحَمَّد بن صالح)، شرح البلاغة (من كتاب قواعد اللغة العربية)، مؤسّسة الشيخ مُحَمَّد بن صالح عثيمين الخيرية، السعوديّة، ط1، 2013، ص81.

[4]–كريم حسن ناضج الخالدي، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار الصفاء، الأردن، ط1، 2006، ص391.

[5]–علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، البيان، المعاني، البديع، دار المعارف، القاهرة، د. ط، 1999، ص179.

[6]– مُحَمَّد أحمد ومحي الدين ديب، علوم البلاغة (البديع، البيان والمعاني)، المؤسّسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط1، 2003، ص283.

[7]– عز الدين عبد السلام بن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، ص58.

الفعل المضارع المقرون بـ (لام الأمر): نحو: "لِيُنفقْ ذو سعةٍ من سعته ومن قُدِرَ عليه رزقه، فلْيُنفق ممّا آتاه الله، لا يكلّف الله نفسًا إلّا ما آتاها سيجعل الله بعد عُسرٍ يُسْرًا" **سورة الطلاق –الآية 7–**

قال ابن غانم المقدسي في كتابه "كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار": "لتعلم حقيقة مخبري، أخبرك بالقصّة الصحيحة، فإنّ الدين النصيحة، ما كلّ طائر أمين ولا كلّ حالف بصدق في اليمين"[1].

اِسم فعل الأمر: "نحو: حذار، بمعنى: احذر، ودراك بمعنى أدرك"[2]، وهو بدوره ينقسم إلى قسمين:

- **سماعي:** نحو: مَهْ وآمين.
- **قياسي:** وهو ما كان على صيغة (فعال) من الفعل الثلاثي، نحو: "ازهدْ في الدنيا يحبّك الله، وازْهدْ فيما في أيدي الناس يحبّك الناس"[3]، فأصل الفعل "ازهد" فعل ثلاثي "زهد"، والزهد هنا بمعنى ترك اللهو والتخلي عنه في الدنيا، أي أن يتّصف الانسان بالصفات الأخلاقية العليا، وأن يعبد الله بالصلاة والدعاء، ليصبح محبّا ومحبوبًا عند الناس وعند خالقه.

المصدر النائب عن فعل الأمر: "المصدر هو الذي يحدثه الفاعل، ويدلّ على زمن مطلق حين دخوله في علاقات سياقيّة، والمصدر النائب عن فعل الأمر يأتي منصوبًا، ويؤدّي وظيفة الأمر"[4].

يُعدّ أسلوب الأمر كما ذكرنا سابقًا طلب الفعل على وجه الاِستعلاء والإلزام، وله صيغ تدلّ عليه، وقد "تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى، تُستفاد من سياق الكلام، كالإرشاد والدعاء والاِلتماس والتخيير والتسوية والتعجب والتهديد والإباحة"[1].

---

[1]– المرجع نفسه، ص 79.

[2]– توفيق الفيل، بلاغة التركيب، دراسة في علم المعاني، مكتبة الآداب، القاهرة، د. ط، 1991، ص

[3]– ابن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، ص81.

[4]– بلقاسم دفه، بنية الجملة الطلبية ودلالتها في أسور المدينة، منشورات مخبر الأبحاث في اللغة والأدب الجزائري، بسكرة، الجزائر، د. ط، 2008، 65/1.

الإباحة: إنّ اِستخدام أفعال الأمر لغرض الإباحة، يكون في سياق فيه المخاطب حظر الشيء عليه والتعبير عن معنى الإباحة يكون بغية "إظهار الرضا بوقوع الداخل تحت لفظ الآمر، حتى كأنّه مطلوب"[2].

وفي ذلك ما جاء في "كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار":

أِخْتَبِرْ حالي تجدني من أصحِّ الناس مخبر

أنا قد أحببت قومًا شرّفوا معنًى ومَنْظَرْ

كبّروا قدرًا وذِكرًا فهُمُ أزكى وأطهر

هكذا قد قال حقًّا سيّد الكون وبشر

كلّ من يهوى حبيبًا فمع المحبوب يحشر[3]

قال تعالى: "اليوم أحِلّ لكم الطيّبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حلٌّ لكُم وطعامكم حلٌّ لهم" سورة المائدة – الآية 5–

فغرض الإباحة محقّقة بِاستخدام صيغ صريحة: أحلّ لكم".

التخيير: وهو وسيلة من وسائل رفع الحرج على العباد في أثناء تطبيقهم لشريعة الله في الأرض، قال تعالى: "وما جَعَلَ عليكم في الدّين من حَرَجٍ" **سورة الحجّ –الآية 78–**

وهذا ما وُرِد في "كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار"، فإن كنت للرموز تفهم، فقم إلى تغْنَم وإلّا فَنَمْ، وإن كنت لا تدري ما تمّ، فحقيقٌ أن يُقام عليك مأتم.

---

[1]– علي الجازم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص179.

[2]– القزويني (أبو سعد الله زكرياء بن مُحَمَّد بن محمود، ت739)، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ص143- 144.

[3]– عز الدين عبد السلام ابن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، ص88.

الإلتماس: غرض من أغراض الأمر البلاغية: ويكون عند خطاب من يساويك في الرتبة والمنزلة، والطلب منه سبيل التلطف وبدون تضرّع ولا اِستعلاء"[1].

يتجلّى الإلتماس في كتاب "كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار"، في قوله:

وقُل لهم عنى مصناكم يقلقه البرق ومرّ الرياح

ما نفحت من نحوكم قسمة إلّا وسحّ الدّمع شجوًا وصاحَ

لولاكم يا هل ذاك الحمى ما راح قلبي موثقًا بالجراح[2]

ففي هذه الأبيات يظهر الإلتماس، حيث يطلب النبات من النسيم بلاغ سلام، فهناك اِلتماس بين النبات والريح، ومعنى غير مباشر إلى الطمأنينة والطيبة.

الخبر: بمعنى أن تكون "صيغته صيغة الأمر، ومعناه معنى الخبر"[3] في قول ابن غانم المقدسي: فإنعطف إلى الورد فأخبره بورودي، وأخلع عليه من برودي، وأشجره في مصدري وورودي"[4].

ورد الأمر في هذه الفقرة والغرض منها الخبر.

النصح والإرشاد: يكون أسلوب الأمر للنّصح والإرشاد "وذلك إذا تضمّن نصيحة لم تكن على وجه الإلزام"[5].

4/ النداء:

في اللغة: تنوّعت التعريفات اللغوية للنداء في المعاجم العربية، هذا ما نجده في المعاجم.

---

[1]- بسيوني عبد الفتاح، علم المعاني، ص294.

[2]- - ابن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، ص64.

[3]- إبراهيم عبود السامرائي، الأساليب الإنشائيّة في العربية، ص29.

[4]- المرجع نفسه، ص 55.

[5]- بسيوني عبد الفتاح، علم المعاني، ص294.

جاء في معجم الوسيط النداء في مادّة (ن، د، ا) فقيل: "ندى الصوت: اِرْتفع واِمتدّ في حُسن، فهو ندى وأنْدى فلان، كثُرَ عطاؤه وفضْلُه، وحسن صوته، وأنْدى فُلانًا: دعاهُ وصاح بأرفع صوته"[1].

وقيل فيه أيضًا: "هو توجيه الدعوة إلى المخاطب، وتنبيهه للإصغاء وسماع ما يريده المتكلّم"[2].

وهو من أنواع الإنشاء الطلبي، "هو طلب الإقبال بحرف نائب مناب "أدعو" ملفوظًا به"[3].

نستنتج من خلال هذه التعريفات اللغوية أنّ النداء يتضمّن معنى: التنبيه، والدعاء، ورفع الصوت واِمتداده وحسنه.

في الاِصطلاح:

تعدّدت المفاهيم الاِصطلاحيّة للنداء في جلّ مؤلّفات البلاغيين، ولكن رغم هذا التعدد إلّا أنّها تتّفق في معنى واحد.

يندرج أسلوب النداء عند النحويين ضمن قائمة المنصوبات، ونقصد به لفت اِنتباه المنادى واِستدعائه بغية الإقبال علينا وسماعنا، قال ابن يعيش في معرض حديثه عن النداء: "هو تنبيه المدعو ليقبل عليك"[4].

والنداء عند النحويين لا يختلف عند البلاغيين، "فهو يقوم على أساس التخاطب لتنبيهه لسماع ما يُلقى عليه"[5]

وقيل: "طلب الإقبال بحرف نائب مناب كلمة "أدعو" والغاية منه أن يُصغي من تنادي إلى أمر ذي بال، لذا غلب أن يلي النداء امر أو نهي أو اِستفهام أو إخبار بحكم شرعي"[6].

---

[1]– معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004، ص912.

[2]– مُحَمَّد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، دار الفرقات، عمان، ط1، 1985، ص219– 220.

[3]– بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، دار المنارة، جدّة، ط3، 1988، ص660.

[4]– يعيش بن علي بن يعيش، شرح المفصل، علم الكتب، بيروت، د، ت، 120/8.

[5]– القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص136/1.

[6]– بسيد عبد الفتاح بسيوني، علم المعاني، مؤسسة المختار، القاهرة، ط2، 2004، ص329.

وجاء في النحو الوافي للدكتور حسن عباس "أنّ النداء هو توجيه الدعوة إلى المخاطب لتنبيهه لسماع ما يلقى عليه"[1].

من خلال هذه التعريفات فهي مُتّفقة جميعًا على معاني "الإقبال" والتنبيه والدعوة.

أحرف النداء:

النداء لون من ألوان الخطاب، له حروفه الخاصّة التي تميّزه عن باقي الحروف اللغوية الأخرى، فهو ينطلق بِامتداد الصوت لبثّ كوامن النفس وجلب الإِنتباه. نجده في "السياقات المليئة بالموقف، وترى الأداة في كثير من الأحيان كأنّها صيحة أو صرخة تمثّل في كثير من الأحيان من المواقف قمّة الإحساس، والحاجة الملحّة إلى لفت من يسمع وإيقاظه"[2].

لذلك جعله العرب بمنزلة الأصوات كما قال سيبويه: "وإنّما فعلوا هذا بالنداء لكثرته في كلامهم، لأنّ أوّل الكلام يبدأ بالنداء، إلّا أن تدعه استغناء بإقبال المخاطب عليك، فهو أوّل كل كلام، به تعطف المكلم عليك، فلمّا كثر كان الأول في كلّ موضع حذفوا منه تخفيفًا لأنّهم ممّا يغيّرون الأكثر في كلامهم حتى جعلوه بمنزلة الأصوات"[3].

وقبل أن نتطرّق إلى أحرف النداء، يجب التذكير إلى أنّ النداء قائم على ثلاثة أركان وهي: أداة النداء، المنادى والأمر المنادى من أجله.

اختلف النحويون في عدد أدوات النداء، فقد ذكر سيبويه أنّها خمسة، وهي: "يا، أيا، هَيا، أيْ، الهمزة"[4].

فيما ذكر آخرون أنّها ثمانية: "الهمزة، أيِ، أيا، هيا، آ، آي، وا، يا"[1].

---

[1]- ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط5، 1964، ص1/4.

[2]- مُحَمَّد أبو موسى، دلالات التركيب –دراسة بلاغية– دار العلم، القاهرة، ط1، 1984، 2/ 208.

[3]- أبو بشر عمرو بن عنبر المعروف بسيبويه، تح: عبد السلام هارون، بيروت، د. ت، 2/ 208.

[4]- سيبويه، الكتاب، 2/ 229.

قسّم علماء النحو أدوات النداء إلى قسمين، وذلك من خلال كيفية التصويت بالأداة والنبرة التي يتحلّى بها الصوت أثناء النطق والخطاب، فذلك هوما يحدّد دلالة النداء، إضافة إلى السياق الذي جاء به الأمر المنادى لأجله، وقد قسّم"القزويني" هذه الأدوات إلى قسمين:

القسم الأوّل: ويضمّ (الهمزة، أي) لنداء القريب.

ويضمّ القسم الثاني:(يا، أيا، هيا، آ، آي، وا)، وتستعمل لنداء البعيد، وتعدّ الأداة (يا) أشهر أحرف النداء وأكثرها استعمالًا، حتى أنّها سميت أمّ حروف النداء أو أمّ الباب، ومن أمثلته:

"يا ربّ بالهادي شفيع الورى المصطفى ذخرت عليه السلام[2]

وكذلك: "يا طالبًا للمعالي. مهر المعالي"[3]، "وآه واذلي ويا خجلي"[4]

جاء النداء في هذه الأمثلة للبعيد، وجاء بصفة النداء الحقيقي، ويمكن أن يخرج النداء عن معانيه الأصلية إلى معاني مجازية. وقد نجد النداء يخرج معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى كالتحسر والإغراء والتعجب والندبة والاستغاثة والإختصاص.

التعجب:وهو تعظيم الأمر في قلوب السامعين، لأنّ التعجّب لا يكون إلّا من الشيء خارجًا عن نظائره وأشكاله"[5]ن ومن أمثلته في كتاب "كشف الاسرار في حكم الطيور والأزهار": "يا لها من روضة ما أهناها، وخضرة ما أبهاها، وحضرة ما اصفاها"[6]، وُرد النداء في هذا البيت بغرض التعجب.

---

[1]- بدوي طبانة، منشورات جامعة طرابلس، ط1، 1977، 2/ 871.

[2]- ابن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، ص53.

[3]- المرجع نفسه، ص96.

[4]- المرجع نفسه، ص58.

[5]- قيس إسماعيل الأوسي، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، بيت الحكمة، بغداد، العراق، د. ط، 1986، ص292.

[6]- ابن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، ص 44.

الاِختصاص: معنى من المعاني البلاغية التي يفيدها النداء، وهو تخصيص حكم علق بضمير باسم ظاهر صورته لا صورة المنادى، أو المعرّف بـ "ال" أو بالإضافة أو بالعلمية"[1]، ومن أمثلته: "فنادانيلسان في الحال: أتريد نديمًا أحسن منّي، أو مجيبًا أفصح من؟ وليس شيء في حضرتك إلّا وهو ناطق بلسان حالة"[2]، فنداء الاِختصاص في هذا المثال جاء بـ "يا"، وهنا الشاعر يخصّص كلامه في البحث عن صديق محبًا له.

التحسر: غرض من الأغراض البلاغية التي يخرج إليها النداء، "وذلك عند نداء الإطلال، والمطايا، والويل، والحسرة وما إلى ذلك"[3].

ومن أمثلته:

"إنْ يكن منّي دني أجلي آهُ وا ذُلّي ويا خجلي[4]

وُرد النداء في هذا البيت بـ "آ" و"يا"، وهما أمّ الباب والأوسع اِستعمالًا وقد جاءت في هذا الموضوع بغرض التحسر.

سنتطرّق في هذا المبحث إلى دراسة الإنشاء غير الطلبي، وقوفًا عند أنواعه وماهية كلّ من هذه الألوان.

2 الإنشاء غير الطلبي: الإنشاء غير الطلبي لا يلج ضمن أقسام علم المعاني، لأنّ البلاغيين يتّفقون على عدم دراسة هذا الضرب، لذلك: "يميل العلماء إلى إخراج الإنشاء غير الطلبي من حيّز البلاغة، لقلّة القواعد البلاغية في صيغه وأساليبه، ويرون أنّ ألوان الإنشاء غير الطلبي يُمكن أن تُدرَج في سلك الإخبار، اللهمّ إلّا أسلوب الرجاء، فهو أقرب إلى مباحث النحو من مباحث البلاغة"[5].

---

[1]- بسيوني عبد الفتاح، علم المعاني، ص334.

[2]- ابن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، ص 45.

[3]- بسيوني عبد الفتاح، علم المعاني، ص 335.

[4]- ابن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، ص 58.

[5]- يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص63.

ومن بين تعريفات الإنشاء غير الطلبي، نذكر قول أحدهم: "هو ما لا يستدعي مطلوبًا، وله أساليب كثيرة منها: التعجّب وأفعال المدح والذمّ (نعم، بئس، حبّذا، ولاحبّذا) وألفاظ القسم (لعمرك، أقسم بالله)" [1]، وعليه فإنّه يظهر بأساليب مختلفة، ونجد في تعريف آخر: "ما لا يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب ويضمّ مجموعة من الصيغ منها: أفعال المدح والذمّ ويكونان بـ (نعم وبئس) وما جرى مجراهما نحو: "(حبّذا ولا حبّذا) والأفعال المحولة إلى معنى المدح والذمّ، وأفعال الرجاء، وكم الخبرية ورُبّ"[2]، وهو أيضًا: "ما لا يستدعي مطلوبًا، إلّا أنّه يُنشئ أمرًا مرغوبًا في إنشائه"[3]، وبناءً على هذه المفاهيم فإنّ، الإنشاء غير الطلبي هو ما لا يستلزم مطلوبًا، غير واقع وقت الطلب، وهو عكس الإنشاء الطلبي.

أساليبه: تنوّعت الأساليب غير الطلبيّة وتعدّدت، وذلك حسب المقام الذي وضع فيه، فهذه الأساليب مرتبطة بسياق الكلام.

التعجب:

في اللغة: تعدّدت الدّلالات اللغويّة للتعجّب، وهذا ما وضّحته معاجم اللغة العربية، وورد في الوجيز في مادّة (ع. ج. ب): "العَجَبُ: روعة تأخذ الإِنسان عند اِستعظام الشيء، يقال: هذا أمر عجب، وهذه قصّة عجبٌ، وهذه قصّة عجب، وعجب، عاجب شديد"[4].

[1]- ينظر: فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ص170.

[2]- يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، 63.

[3]- عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية، ص224.

[4]- إبراهيم مدكور، المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مصر، ط1، 1980، ص406.

وفي موضوع آخر، التعجب هو: "اِنفعال النفس لزيادة وصف في المتعجّب منه (...) العجب تغير النفس بما خفي سببه وخرج في العادة مثله"[1].

وبناءً على التعريف بالتعجب من حيث اللغة، نصل إلى أنّه إذكار شيء غير المألوف، واِستعظام الشيء واِنفعال النفس.

اِصطلاحًا: تنوّعت تعريفات أسلوب التعجب وتعدّدت عند البلاغيين، إلّا أنّها تتّفق في معنى واحد: "اِنفعال يحدث في النفس عند الشعور بأنّه يجهل سببه، والمراد بالاِنفعال: تأثير النفس عند الشعور بالأمر المذكور"[2].

كما يُعرّفه عبد العزيز عتيق: "تفضيل شخص من الأشخاص أو غيره على أضرابه في وصف من الأوصاف"[3].

ومن خلال هذه التعاريف الاصطلاحية، نقول بأنّ التعجب هو اِنفعال يحدث في النفس البشرية بأمر غير مألوف، والتأثير عليها، وتنحصر صيغه في قسمين: قياسي وسماعي.

صيغه:

أ. التعجب القياسي: جاء في المعجم العربي أنّ التعجب القياسي "يأتي في الكلام على ضربين: أحدهما "ما أَفْعَلَهُ" والآخر "أفْعِل به"[4]، نحو ما جاء في كتاب "كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار" في قوله: "ما أَقْصَر ما قضيت عيشا رغدًا، وما أطول ما بقيت يابسًا متجرّدًا، وجعله فضولي أنّني أؤخذ أيام حصولي"[1].

[1]- بطرس البستاني، محيط المحيط، ص576.

[2]- عبد الله بن صالح الفوزان، تعجيل الذي شرح قطر الندى، داربي لجوزي، السعودية، ط2، 2010، ص223.

[3]- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، ص71.

[4]- ابن جني (أبو الفتح عثمان)، اللمع في العربية، تح: جامد المؤمن، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1985، ص196.

والصيغة الثانية التي تأتي على "أفعل به لقوله: "أفصح به بيانك، فلو اِهتديت بشيمتي، واقتديت بسيرتي، لبرئت من الملامة، وعلمت أنّ الصمت رفيق السلامة""[2].

ب. التعجب السماعي: وُرد في الأساليب الإنشائية في العربية أنّ التعجب السماعي لا ضابط له، ولا يكون القياس عليه، أو أنّه قد يكون من الأساليب التي كانت في أصل الوضع لمعانٍ أخرى غير التعجب، ثمّ خرجت عن معانيها إلى معنى التعجب، ومن هذه الأساليب أخرى كثيرة، التعجّب بالاِستفهام والتعجب بالنداء والتعجب بصيغة "عجب""[3].

وعليه فإنّ التعجب السماعي مُرتبط بالسياق، في قوله: "يا الله العجب ما بال لوني باهي وحسني زاهي، وقدري بين الرياحين واهي"[4]، وهذا يندرج ضمن التعجب بالنداء.

من خلال ما ذكرنا سابقًا عن أسلوب التعجب، نستنتج أنّه من الأساليب الإنشائيّة غير الطلبية، تتمثّل في اِنفعال يحدث في النفس البشرية بأمر غير مألوف، كما تُعبّر عمّا يحدث في النفس، وله صيغ تدلّ عليه، تُفهم من سياق الكلام، وقد تخرج هذه الصيغ عن معناها الحقيقي إلى أغراض بلاغية بحسب المقام.

ويمكن متابعة هذه المعاني في "كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار".

التعظيم والمدح:

ولما حسن العتاب وطاب فصل الخطاب، مسح دمع السحاب، فانبسط وساح في الرحاب، وقال: سبحان الله! أيذكر فضلي عليكم؟[5]، ففي هذا القول تعظيم من قدرة الله، فالاِنسان دائمًا يتعجّب من قدرة الله

---

[1]- عز الدين بن عبد السلام بن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، ص61.

[2]- المرجع نفسه، ص 77.

[3]- ينظر: إبراهيم عبود السامرائي، الأساليب الإنشائية في العربية، ص125- 126.

[4]- المرجع نفسه، ص61.

[5]- إبراهيم عبود السامرائي، الأساليب الإنشائية في العربية، ص71.

في الكون وكيف سخّر لنا هذه الأرض وما تحتويه من مناظر تُلفت الأنظار من السحاب، ومياه البحار والأنهار...

1/ أسلوب كم الخبريّة:

في اللغة: تزخر المعاجم العربيّة بالمفاهيم اللغوية لـ "كم الخبرية": "خبرية تدلّ على عدد كثير، ويكون تمييزها مجرورًا مُفردًا أو جمعًا، نحو: كم فاضل عرفت؟ وكم كتبٍ قرأت؟: عرفت عددًا كثيرًا من فضلًا، وقرأت عددًا من الكتب"[1].

وجاء في الوجيز: "لفظ يدلّ على العدد قليلًا أو كثيرًا، مثل: كم كتابًا قرات؟، أو يدلّ على الكثرة، مثل: كم فاضل، أو فضلاء عرفت؟[2]، وعليه فإنّ "كم الخبريّة" تدلّ على العدد الكثير.

اصطلاحًا: بِاعتبار "كم الخبرية" في اللغة تعني العدد الكثير، ففي الِاصطلاح: "تتضمّن الإخبار بكثرة شيء معدود، لا يتطلّب المتكلّم بها جوابًا من السامع، لأنّه مخْبر، وأنّ الكلام معها يتعرّض للتصديق والتكذيب"[3].

ويرى السيوطي أنّ "كم": "خبرية بمعنى كثير، وإنّما تقع في مقام الافتخار والمباهاة"[4]، لهذا يمكن القول أنّ "كم الخبرية" تتضمّن معنى الإخبار بكثرة شيء معدود، وأنّ المتكلّم لا يستدعي من مخاطبه جوابًا، لأنّه مخبره، وقد تخرج من معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى بلاغية كالتحسّر، التمني، المدح.

المدح: نحو ما جاء في كتاب "كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار": "قد كُسبت ثيابًا خضره، فصاحت بفصاحتها أيّها الطاووس إلى كم هذا العبوس، والعيش المنكوس، أنت في الصورة عروس، وفي المعنى كظلة

---

[1]- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، 797.

[2]- مُحَمَّد سليمان الياقوت، النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، طبعة جديدة، 1998، ص807.

[3]- السيوطي، الإنفاق في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، السعودية، د. ط، د. ت، ج1، ص1151.

[4]- السيوطي، الإنفاق في علوم القرآن، ص87.

الناووس"، ففي هذه الصيغة البلاغية لـ "كم الخبرية" مدح لحيوان الطاووس، فمن لمعروف أنّه حيوان يتميّز بالشكل الجميل والألوان الزاهية والجميلة.

2/ أسلوب القسم:

في اللغة: القسم ضرب من ضروب الإنشاء غير الطلبي، فقد عرف العرب كما عرف عند غيرهم من الأمم، فكانوا يستعملونه في تحقيق الأخبار، ورد في لسان العرب مفهوم القسم: "والقسم بالتحريك: اليمين، وكذلك المقسم، وهو مصدر مثل المخرج، والجمع أقسام، وأقسم بالله وإِسْتَقْسَمَهُ به، وقاسمه: حلف به، وتقاسم القوم: تحالفوا (...) وأقسمْتُ، حلفت، وأصله من القسامة"[1].

اصطلاحًا: القسم في الاصطلاح: "من أساليب التوكيد، ويتألّف من: أداة القسم والمقسم به، جواب القسم"[2]، وهو أيضًا: "وضع أمارة على صدق المتكلّم فيما يُثبته أو ينفيه من أخبار (...) والقسم توكيد لِاعتقاد المتكلّم المتعلّق بحدث لم يقع بعد، أو وقع وإنقضى أو هو واقع في زمان الإخبار عنه"[3].

وعرّفه آخر: "الحلف واليمين، والقسم ضرب من ضروب الإنشاء غير الطلبي، وهو إمّا أن يكون بجملة فعلية، نحو: أقسم بالله، أو بجملة إسمية، نحو: يمين الله لأفعلن كذا، أو بأدوات القسم الجارّة لما بعدها"[4].

وعليه، فإنّ أسلوب القسم لون من ألوان الإنشاء غير الطلبي، وهو توكيد أمر المخلوف عليه بذكر الله تعالى أو صفة من صفاته، ويُمثّل ظاهرة فنية بارزة، قد يخرج عن معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى تُفهم من سياق الكلام، كالتعجب والافتخار والنفي.

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مادّة (ق، س، م)، ص481.

[2]- عبد الله محمّد النقراط، الشامل في اللغة العربية، ص 118.

[3]- خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة (دراسة نحوية تداولية)، المؤسّسة العربية للتوزيع المنوحة، تونس، ط1، 2001، ص100.

[4]- عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائيّة في النحو العربي، ص218.

التأكيد: نحو قول بن غانم المقدسي: "تالله لقد فاز أهل الخلوات، وإمتاز أهل الصلوات، ومنع الجواز أهل الغفلات، فإفهم الإشارات"[1].

يظهر القسم في أوّل الجملة (تالله)، فالتاء هنا للتّأكيد والقسم علة فوز أهل الصلوات في الدنيا والآخرة، فهنا دعوة إلى الأخلاق الفضيلة والكريمة كالصلاة، فهي تنهى عن المنكر، وبها يتجاوز الانسان غفلات الحياة من لهو.....

وفي مثال آخر: "تالله لقد رثيت لمصابة، وبكيتلأوصابه، لأنّه لا شيء أبكي من الاغتراب، بعد الاقتراب ولأذكي من الحجاب، بعد مشاهدة الأحباب"[2]، وهنا جاء القسم في (تالله)، وهنا قسّم وحلف يمين على الشوق إلى الأحبة بعد الاغتراب، فهنا يدعو "ابن غانم المقدسي" إلى المحبّة والحنين إلى الأحبّة، خاصّة عند الإبتعاد عنهم.

نستنتج ممّا سبق الإشارة إليه في كلّ من الإنشاء الطلبي والإنشاء غير الطلبي، أن الطلبي هو ما يتأخّر وجود معناه عن وجود لفظه، وله أساليب متعدّدة، سبق الإشارة إليها مع شرح كلّ صيغة منها من مدح وتمنّي وتحسّر...، كذلك مع الأسلوب غير الطلبي الذي يقترن فيه الموجودات بمعنى يتحقّق وجود معناه في الوقت الذي يتحقّق فيه وجود لفظه، فهذه الميزة الوحيدة التي اتّفق عليها علماء البلاغيون في التمييز بين هذين الأسلوبين.

III. الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة:

تُصنّف ظاهرة الأفعال الكلاميّة ضمن (علم المعاني)، وقد قسّم "البلاغيون" أفعال الكلام إلى مباشرة وغير مباشرة.

[1]- المرجع نفسه، ص91.

[2]- - ابن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، ص 82.

أ. الأفعال الكلامية المباشرة:

إنّ التخاطب يتأسّس على تأدية المتخاطبين لأفعال الكلام، لذلك أحاط العرب بظاهرة الأغراض أو الأساليب الإنشائية إحاطة شاملة ونظاميّة، حيث يرى البلاغيون أنّ ثنائيّة الخبر والإنشاء هي الأصل في اللغة، أمّا ما يتفرّغ عنها من أساليب قد تبدو خبريّة، إلّا أنّها إنشائيّة في المضمون، وهي فروع[1]، مثال: رحمك الله، التي تقال للانسان العطش، والتي تبدو إخبارًا إلّا أنّها تعني الدعاء: (اَدعو الله أن يرحمك) ومن أفعال الكلام المباشرة في كتاب "ابن غانم المقدسي: الاستفهام، النداء، الأمر...التي تخرج إلى سياقات مختلفة بحسب المقام، أي بمعنى آخر إلى صيغ بلاغية تُفهم من السياق، وهذا ما تمّ الإشارة إليه سابقًا.

ب. الأفعال الكلاميّة غير المباشرة:

لقد اِنتبه العرب لهذه الظاهرة واعتبروها فروعًا، ويُشكِّل ذلك تقدّمًا لا مثيل له في الدراسات اللغوية والأسلوبية، فقد أشار "السكاكي" إلى هذه الظاهرة وحاول تقعيدها عن طريق فهم الآليّات التي تتحكّم في تحقيقه، يقول "أحمد المتوكل"[2]، وتمتاز اقتراحات السكاكي في (مفتاحه) عن باقي ما ورد في وصف الظاهرة بأنّها تجاوز الملاحظة الصرف، وتحمل أهمّ بذور التحليل الملائم للظاهرة، أي التحليل الذي يضبط علاقة المعنى الصريح بالمعنى المستلزم مقاميًّا، ويصف آليّة الاِستعمال من الأول إلى الثاني، بوضع قواعد استلزامية، كما أنّ اللغويين المعاصرون في الغرب توصّلوا أيضًا إلى ذكر الأفعال الكلامية غير المباشرة.

ج. الاستلزام الحواري:

[1]- عمر بلخير، مقالات في التداولية والخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، ص115، 116.

[2]- المرجع نفسه، ص121.

الاستلزام الحواري هو أحد أبرز المفاهيم التداولي الغربي الحديث، والتي تعود أولى بداياته إلى أعمال بول غرايس الذي لاحظ "أنّ المتخاطبين يتحاورون ويتبعون عددًا معيّنًا من القواعد الضمنيّة اللازمة للتواصل"[1].

ففي هذه الحالة نجد غرايس يحصر التواصل في مجموعة من القواعد أو الأسس التي يجب على المتكلّم والسامع الالتزام بها، ونجاح العمليّة التخاطبيّة مرتبطة بمدى توفير هذه القواعد، وفي حالة ما إذا وقع خلل في تلك القواعد فلا يتمّ ذلك التواصل.

وقد اِنطلق غرايس من فكرة مؤدّاها أنّ جملة اللغة تدلّ في غالب الأحيان على معانٍ صريحة وأخرى ضمنيّة، تتحدّد دلالاتها داخل السياق الذي ترد فيه، كما لاحظ أنّ الناس أثناء حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر ممّا يقولون، وربّما يقصدون عكس ما يقولون، فركّز اِهتمامه على (ما يُقال)؛ أي المعنى الصريح. (وما يقصد)؛ أي المعنى الضمني، وهو المعاني غير المباشرة التي تتغيّر فيها المقاصد، تبعًا للمقام والظروف، ويريد المتكلّم أن يبلّغها إلى السامع، لذلك يشدّد غرايس في التواصل اللغوي على نوايا القائل وعلى فهم المخاطب لهذه النوايا[2].

إنّ المتحاورين حسب غرايس أثناء تخاطبهم يحملون معاني مختلفة، منها المعاني الصريحة وهي المرتبطة بما يُقال؛ أي باللفظ، وتكون مباشرة، ومعاني أخرى ضمنيّة مرتبطة بالقصد.

وعلى وفق المعنى الصريح والمعنى الضمني، راح غرايس يؤسّس لفكرة الاستلزام Implicature، وقد لاحظ أنّه هناك نوعين من الاستلزام: فالأوّل الاستلزام العرفي: الذي يقوم على ما تعارف عليه أصل لغة معيّنة فيما بينهم من وجود بعض الألفاظ تستلزم دومًا دلالات معيّنة وثابتة، لا تختلف بِاختلاف السياقات والتراكيب، ومن ذلك مثلًا: (لكن) في اللغة العربية، فهذه تستلزم أنّ ما يأتي بعدها يكون مخالفًا لما يتوقّعه السامع، وأمّا

[1]– فيليب بلاتشيه، التداولية بين اوستين إلى غوفمان، ص84.

[2]– آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علمجديد في التواصل، ص53.

الثاني: الاستلزام الحواري، أو التخاطبي، وهو متغيّر السياقات التي يريد فيها، وله خصائص تُميّزه عن غيره من أنواع الاستلزام الأخرى.

لاحظ بعض فلاسفة اللغة واللسانيين وعلى رأسهم غرايس، أن جعل اللغات الطبيعية في بعض المقامات تدلّ على معنى غير محتواها القضوي، ويتّضح ذلك من خلال الحوار الآتي بين أستاذين (أ) و(ب):

الأستاذ (أ): هل الطالب (ح) مستعدّ لمتابعة دراسة الجامعة في قسم الفلسفة؟

الأستاذ (ب): إنّ الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز.

لاحظ غرايس أنّنا إذا تأمّلنا الحمولة الدلالية لإجابة الأستاذ (ب)، وجدنا أنّها تدلّ على معنيين اِثنين في نفس الوقت، أحدهما حرفي والآخر مستلزم، معناه الحرفي أنّ الطالب (ج) من لاعبي الكرة المتميّزين، ومعناه الاِستلزامي أنّ الطالب (ج) ليس مستعدّ لمتابعة دراسته في قسم الفلسفة، وهذه الظاهرة سمّاها غرايس بـ "الاِستلزام الحواري" l'implication conversationnelle[1]، ولوصف هذه الظاهرة يقترح غرايس (1975) نظرية المحادثة التي تنصّ على أنّ التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام (مبدأ التعاون) ألا وهو "مبدأ عامّ يقتضي تعاون المتخاطبين في تحقيق الهدف من حوارهم، وصيغته ليكن اندفاعك في الكلام على الوجه الذي يقتضيه الاِتّجاه المرسوم للحوار اشتركت فيه"[2]، ويتفرّع هذا المبدأ العام أو مبدأ التعاون أو كما سمّاه طه عبد الرحمان مبدأ التأدّب إلى وعند مسعود الصحراوي في كتابه "التداولية عند علماء العرب" تظهر في أربعة مسلّمات هي:

1. مسلّمة القدر:(quantité) وتخصّ قدْر (كمية) الإخبار الذي يجب أن تلتزم به المبادرة الكلامية.

[1]– مسعود الصحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطيعة، بيروت، ط1، 2005، ص33.

[2]– طه عبد الرحمان، في أصول الحوار والتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص103

وفي كتاب "كشف أسرار الطيور والأزهار" بيّن ابن غانم المقدسي في مقدّمته إشارة النسيم لقوله: "فأوّل ما سمعت همهمة النسيم، يترنّم بصوته الرخيم، يقول بلسان حاله، في صريح لفظه ومقاله: أنا رسول كلّ محبّ إلى حبيبه، وحامل شكوى كلّ عليل إلى طبيبه"[1]، حيث قارن بين كمية الهواء (الهمهمة) التي ترد في صدر الانسان وما تلحقه من راحة نفسيّة، بما يدعو إليه الرسول لأمّته من أخلاق وحكم، فالأمّة تشكو إلى ربّها كما يشكو المريض لطبيبه.

وجاء بمعنى القدْر أو الكمية في كشف الطيور والأزهار، من أوّله إلى آخر الدعوة إلى الأخلاق السامية والحكمة والفضيلة والحجّة، وفي ذلك قوله:

يا راقد في الليل كم ذا تنام أما تخاف العتب بين الأيام

فقم لمولاك وكن قائلًا في جندس من الليل وجنح الظلام

يا ربّ بالهادي فيع الورى المصطفى فخري عليه السلام

احدى إلّا وهي منك لي توبة تمحو ذنوبي والخطأ والأنام[2]

يُصارح في هذه الأبيات إلى قيام الليل عندما يحسّ المرء بالضيق وعدم الراحة وحتّى الخوف، فيلجأ إلى الصلاة والدعوة إلى الله بالرضى عليه، بدليل أنّ الصلاة –قيام الليل خاصّة– تنهى المرء عن المنكر، وتقرّب العبد إلى ربّه وهي فضيلة.

ويقول أيضًا في مثال آخر: "فأجابه النرجس من حاضره، وهو ناظر المناظرة، وقال: أنا رقيت القوم وشاهدتهم وسميرهم، ومنادمهم، وسيّد القوم خادمهم"[3]، وعليه فإنّ زهرة النرجس تتباهى بجمالها –وهي مثال عن

[1]– ابن غانم المقدسي، كشف الطيور والأزهار، ص47.

[2]– المرجع نفسه، ص53.

[3]– ابن غانم المقدسين كشف الطيور والأزهار، ص57.

السخرية- عن باقي الزهور كما يتباهى الملك على خادمه، فمقدار وصف المقدسي لزهرة النرجس ينطبق على مقدار جمالها وشكلها.

2. مسلّمة الكيف:(Qualité) ونصّها "لا تقبل ما تعتقد أنّه كاذب، ولا تقل ما لا يستطيع البرهنة على صدقه"[1]، والقصد من هذه المسلّمة منع إدّعاء الكذب.

وهذا ما جاء في كشف الطيور والأزهار في وصف حالة الطير -الهزار- في فصل الربيع لقوله: "إذا رأيت فصل الربيع قد حان، ومنظره البديع قد آن، تجدني في الرياض فرحانا وعلى الأغصان أردّد الألحان".

بحيث أنّ هذا الطائر الهزار يتميّز بحسن تغريده فإذا جاء فصل الربيع لزم وجود هذا الطير.

والمعاني الصريحة "هي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها، وتشمل ما يلي:

أ/ المحتوى القضوي:هو مجموعة معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة الإسناد.

[/ القوّة الإنجازيّة: "وهي القوّة الدلاليّة المؤثّرة لها بأدوات، تصبح الجملة بصيغة أسلوب ما كالاستفهام، النهي، النداء والأمر"[2].

كما جاء في كتاب بن غانم المقدسي قوله:

لا تلمني إن بدا مني افتضاح فما على من باح في الحبّ جُناح[3]

فهذا البيت الشعري جاء بصيغة النهي، أمّا فعل الأمر لقوله أيضًا: "فانظر إلى الورد وقد وردْ، وإلى البرد وقد شردْ وإلى الزهر وقد اتّقد، وإلى الحبّ وقد اِنعقد..."[1]، قوّة دلاليّة بصيغة الأمر، وتظهر في كلمة (أُنظر)، النداء في قوله:

[1]-مسعود الصحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص33.

[2]- مسعود الصحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللساني العربي، دار الطبعة، لبنان، ط1، 2005، ص34.

[3]- مسعود الصحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص64.

يا طالبًا للمعاني مهر المعالي غالي

ما استعذب الموت إلّا من ذاق ذوق الرجال

حماه دون وصال حِماه حدُّ النصالِ

أمّا **المعاني الضمنيّة:**"وهي المعاني التي لا تدلّ عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن لسياق دخلا في تحديدها والتوجيه"، ويشمل:

أ/ معاني عرفيّة: "وهي الدلالات التي ترتبط بالجملة اِرتباطًا أصيلًا وتلازم الجملة ملازمة في مقام معيّن".

ب/ معاني حواريّة: "وهي التي تتولّد طبقًا للمقامات التي تُنجَز فيها الجملة مثل الدلالة الاِستلزاميّة"[2].

فالباز هو من أشدّ الحيوانات تكبُّرًا، بحيث ذكر المشبّه ألا وهو الطائر الباز، وحذف المشبّه به "الاِنسان" الذي يتّصف بالأنانيّة والتكبّر على سبيل الاِستعارة المكنيّة، وأيضًا في قوله: "ولا تمشي في الأرض مرحًا" سورة الإسراء –الآية[3] 47–

وعلى سبيل ذكر المثال، نلاحظ أنّ ابن غانم المقدسي قد تأثّر بالقرآن الكريم، وذلك بما دعا إليه في كتابه إلى الأخلاق الحسنة، وما تحسّه من صفات أخلاقيّة.

قال تعالى: "ولا تمشي في الأرض مرحًا، إنّك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولًا، كلّ ذلك سيّئة عند ربّك مكروهًا"[4] سورة الإسراء –الآية 38/37–

ويظهر قصد أو فحوى هذه الآية عدم لمشي في الأرض متبخترًا ومتميّلًا.

---

[1]– المرجع نفسه، ص54.

[2]– المرجع نفسه، ص 34.

[3]– ابن غانم المقدسي، كشف الطيور والأزهار، ص77.

[4]– سورة الإسراء، الآية 38.

3. مسلّمة المناسبة، الملاءمة، العلاقة: (pertinence)وهي التي تنصّ على الوضوح في الكلام، وخلاصتها (ليناسب مقالك مقامك)؛ أي أن يجعل المتكلّم كلامه ذا علاقة بالموضوع[1].

"فقال الديك: ها أنا في ناديك أناديك، وأنت في نعاميك وتعاشيك، جعلت الآذان لي وظيفة، أوقظ به من هو نائم كالجيفة، وأبشّر الذين يدعون ربّهم تضرّعًا وخيفة، وفي إشارة لطيفة ومعانٍ ظريفة، أصفّق بجناحي بشرى للقائم، وأعلن بصيامي تنبيهًا للنائم"[2].

وخلاصة هذا القول تظهر في الصفات التي يتميّز بها الديك في الموقف أو المقام الذي هو عليه –في كلّ صباح– فمقامه يناسب مقاله؛ أي صياحه في الصباح الباكر، وفي قول آخر "فناداه البطّ وهو في الماء ينغط"[3]، ففي هذا الكلام الذي قاله البطّ حين مناداته على الديك، وهو يقوم بفعل الغطس في الماء في ملاءمة مقاله لمقامه، وفي الآن نفسه يتباهى على الديك بقدرته على الطيران، وهنا إشارة إلى السخرية وعدم التباهي بالنفس.

4. مسلّمة الجهة: (modalité) "التي تنصّ على الوضوح في الكلام"[4]؛ أي الِابتعاد عن الغموض، وهي أيضًا: "ترتبط بما يُراد قوله"[5].

يُصارح في كتابه "كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار"، "فتنفّس البنفسج تنغمس الصعدا، وقال: طوبى من عاش عيش السعدا، ومات موت الشهداء إلى متى أموت لذبول كمدًا""[6].

---

[1]– مسعود الصحراوي، التداولية عند العرب، ص34.

[2]– ابن غانم المقدسي، كشف الطيور والأزهار، ص92.

[3]– المرجع نفسه، ص95.

[4]– مسعود الصحراوي، التداولية عند العرب، ص34.

[5]– طه عبد الرحمان، في أصول الحوار والتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط2، 2002، ص103.

[6]– ابن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، ص61.

وفي قول آخر: " أيّها الراغب في االسلوك، المتأدّب بآداب الملوك، إن كنت تعلّمت من الكلب زهدًا وفقرًا، فتعلّم مني جلدًا وصبرًا، فإنّه من توسّد الفقر وجب عليه معانقته، فإنّ الفقير الصابر هو المعدود من الأكابر وهو خير من الغنى الشاكر"[1]، ففي هذه الفقرة تعبير عن الصبر، فيجب على الانسان أن يتحلّى بهذه الصفة، مواجهة مواقف حياته مهما كانت، بحيث أعطى ابن غانم المقدسي مثالًا لذلك من الحمل الذي يعبّر عن قوّة تحمّل العطش، ويضرب به المثل في الصبر.

[1]- المرجع نفسه، ص115.

الفصل الثاني

تحليل حجاجي لكتاب"كشف الأسرار في حِكم الطيور والأزهار"

- ✓ **المبحث الأوّل: نشأة الحجاج وتطوّره**
  - **أوّلًا**:الحجاج في الفكر الغربي القديم
  - **ثانيًا**:الحجاج في الفكر العربي القديم
  - **ثالثًا**:الحجاج في الفكر العربي الحديث
- ✓ **المبحث الثاني: الحجاج وآليّاته**
  - **أوّلًا**: الحجاج الإقناعي
  - **ثانيًا**:الآليّات الحجاجية
  - **ثالثًا**:الروابط والعوامل الحجاجية

تعريف الحجاج:

تضاربت نظرة الدارسين اللغويين لمفهوم الحجاج، ورأوا أنّهيصارع الجدل والبرهان اللذان يستدلّ بهما المتكلّم، والحجاج له مفهوم لغوي وآخر اِصطلاحي.

لغة: جاء في لسان العرب "حاججته، أحاجًا ومحاجةً حتى حججته، أي غلبته بالحجج التي أدليت بها والحجّة، البرهان، وقيل الحجّة ما دوفع به الخصم، وقال الأزهري: "الحجة: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل مِحْجَاجٌ أي جدِلٌ"[1]، ويجعل هنا ابن منظور الحجاج مرادفًا للجدل صراحة[2].

أمّا في معجم الوجيز فقد أضاف قوله: "احتجّ عليه أقام الحجّة وعارضه مُستنكرًا فعله"[3].

أمّا في القرآن الكريم، فقد وُرد مصطلح "الحجاج في عدّة آيات منها: "ها أنتم هؤلاء حَجَجْتم فيما لكم به علمٌ فَلِمَ تحاجّون فيما ليس لكم به علمٌ" سورة آل عمران، الآية 66.

"وحاجّه قومه، قال: أتُحاجّوني في الله وقد هداني" سورة الأنعام الآية 80.

فأساس الحجاج الارتكاز على دليل معيّن قصد إثبات قضيّة من القضايا.

[1]– ابن منظور، لسان العرب، مادّة "حجج"، ص779.

[2]– عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبيّة، دار الفارابي، بيروت، ط2، 2007، ص10.

[3]– مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، مادّة "الحجا"، ص135.

اصطلاحًا:

تذهب معظم التعاريف الإِصطلاحية للحجاج إلى أنّ الحجاج عبارة عن علاقة تخاطبية بين "المتكلّم والمستمِع" حول قضيّة ما نتكلّم بدعم قوله بالحجج والبراهين لإقناع الغير، وللمستمع الاعتراض عليه إن لم يقتنع.

ولقد أولى العرب الحجاج _بإختلاف مصطلحاته_ عناية كبيرة منذ العصور القديمة، تبلورت في شتّى الميادين المعرفية، خاصّة ما أفاض به علماء والتفسير، وما سجّلت الدراسات القديمة من جهود عند علماء اللغة والدلالة، والتأويل هذا فضلًا عن ورود المصطلح في النصوص الدينية (القرآن الكريم، والسنة) والدور الذي حضي به في الحياة الاجتماعية والمسامرات والنقاشات البلاغية... وغيرها.

وورد الحجاج في القرآن الكريم بمعاني مختلفة، حجاج وجدل وبرهان، وذلك في آليّات كثيرة منها قوله تعالى: "ألم تر إلى الذي حاجَّ ابراهيم في ربّه" سورة البقرة الآية 258.

وجاء الحجاج في هذه السورة بمعنى خاصم.

وقد أشار الزركشي إلى الاحتجاج في القرآن، ورأى أنّ المراد به هو الاحتجاج على معنى المقصود بحجّة عقلية، واستشهد بقوله تعالى: "ما اتّخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذًا لّذهب كلّ إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عمّا يصفون" سورة المؤمنون الآية 91.

أمّا من الناحية الاِصطلاحيّة فعرّف أبو هلال العسكري الحجّة والاحتجاج قائلًا: "الحجّة في الاِستقامة في النظر والمضيّ فيه على سنن مستقيم من ردّ الفرع على الأصل، وهي مأخوذة من الحجّة وهي الطريق المستقيم، وهذا هو فعل المستدلّ، سواء كان من جهة ما يطلب معرفته أو من جهة غيره"[1],

وعرّف الشريف الجرجاني الحجّة أيضًا فقال: "ما دلّ به صحّة الدعوى، وقيل الحجّة والدليل واحد" [2].

يُفهَم من هذا القول أنّ الحجّة تدلّ على البرهان والإثبات.

ويُعدّ طه عبد الرحمان من المفكّرين العرب المحدثين الذين درسوا موضوع الحجاج، حيث عرّفه بقوله: "الحجاج كلّ منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاِعتراض عليها"[3].

فوسيلة المحاج إذن هي اللغة التي يتوصّل بها لإحداث التأثير، ومن ثمّ الإقناع الذي يتحقّق بعد التلفّظ بالخطاب، فينتج عنه القرار بممارسة عمل معيّن أو اِتّخاذ موقف ما سواء بالإقدام أو الإحجام.

وحسب بيرلمان، فإنّ الحجاج: "جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقّي على الإقتناع بما تعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقناع، معتبرًا أنّ غاية الحجاج الأساسية إنّما هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل للقيام بالعمل"[4].

ونخلص إلى أنّ الحجاج يتمثّل في الإقتناع حيث تحدث هذه الأساليب نوعًا من الاقتناع نريد في هذا الأخير الغاية والحجاج، وهي تؤثّر في المتلقّي ليكون لهذا الأخير _الحجاج_ رد فعل.

---

[1]– أبو هلال العسكري، الفرق اللغوية، تح: مُحَمَّد ابراهيم، دار العلم والثقافة، مصر، د. ت، ص70.

[2]– الشريف الجرجاني، التعريفات، تح: مُحَمَّد عبد الرحمان المرعشلي، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص145.

[3]–طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2007، ص65.

[4]– سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، نسبه وأساليبه، ص21.

1. الحجاج في الفكر الغربي القديم:

تضرب جذور النظرية الحجاجية منذ القدم (5 ق. م) إلى الحضارة اليونانية، فتناول فلاسفة اليونان الكثير من الظواهر المرتبطة بالممارسة الحجاجية بدرجة عالية من القدرة والشمول، وهذا ما ساعد في التفتّح الديمقراطي الذي شهدته الحضارة اليونانية، والذي حمل لقدماء اليونان كل من أفلاطون وأرسطو، وسقراط والسفسطائيون. وسنحاول عرض بعض ما قدّمه هؤلاء من الممارسات الحجاجية.

أ. أفلاطون والحجاج:

اِعتمد أفلاطون على معيار الحقّ والخير أساسًا لكلّ حجاج أو بلاغة، ينتفع منها الفرد والمجتمع على حدّ سواء، فحجاجةأخلاق اِتّصف بالمثالية ورفض ما ذهب إليه السفسطائيون، فالخطابة عنده "فعل قولي أخلاقي"[1] من خلال قيادة المتلقي إلى عتبات الأخلاق السامية.

فقد رأى أفلاطون أنّ صناعة الخطابة تُبنى من خلال ثلاثة أركان وهي:

1. اِعتماد المنهج الجدلي.
2. معرفة أنواع النفوس وما يُناسبها من أقوال.
3. معرفة ما يناسب المقامات المختلفة من أساليب.

[1]– حمادي صمود، الحجاج عند أرسطو ضمن كتاب أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، منشورات كلية منّوبة، تونس، ط2، 1998، ص78.

ب.السفسطائية والحجاج:

يُعدّ السفسطائيون أوّل من وضع أصول علم الخطابة، فقد غيّروا مفهوم الفلسفة من الاهتمام بالطبيعة إلى الاهتمام بالانسان، إذ أنّ "الخطابة هي الفنّ الحقيقي والأسلوب الصحيح في التفكير"[1]، فالسفسطائيون كانوا يُمارسون الحجاج للحصول على سلطة المجتمع، ويُعلّمون الشباب الخطابة، ويُهيّئونهم بذلك على السلطة، فاِهتمّوا بالطرق التي تؤدّي إلى الإقناع والتّأثير، فلم يكونوا مُفكّرين ومنظرين بل مُعلّمين يتقاضون مالًا وفيرًا على ذلك، كما قال "بروتاغوراس": أوافق على أنّي سوفسطائي ووظيفتي هي تعليم الناس"[2].

فقد نظر السفسطائيون وخاصّة "بروتاغوس" أنّ: "القول الخطابي يفوق المعارف البشرية الأخرى بما يمتلكه من قوّة وفعالية، إذ هو أعلى سلطة لتحقق الاعتقاد، وبناء المعرفة ووصل الإنسان والمدينة بالخير النافع"[3].

فالحجاج عندهم يقوم على الخداع والمراوغة، وتزييف الحقّ باطلًا والباطل حقًّ، لأنّهم يؤمنون بوجود حقّ أو باطل، لأنّ نظريّتهم مبنية على التلاعب بالألفاظ والهروب من الحقيقة بِاستعمالهم حججًا كاذبة ومُخادعة، ويُحاولون التأثير والإقناع والاِستمالة، لأنّ روّادهم تميّزوا بالكفاءة اللغوية البلاغية وبالخبرة، فالخطابة عندهم قول يتناول الظاهر لا الحقيقة بمعنى اللذة لا الخير.

ج. أرسطو والحجاج:

[1]– الزواوي بوغرة، الفلسفة واللغة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص105.

[2]– هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، بحث ضمن كتاب أهمّ نظريّات الحجاج في التقاليد الغربية، إشراف حمادي صمود، منوية، كلية الآداب، تونس، د. ط، ص98.

[3]– عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط3، 2013، ص29.

يُعدّ أرسطو فيلسوفًا موسوعيًّا شاملًا، فكانت فلسفته تنفتح على كلّ ضروب المعرفة، إذ يبحث في الطبيعة والميتافيزيقيا وفنّ الخطابة، كما يعتبر العمدة في عملية الحجاج، فهو المرجع الأساسي النظرية الحجاج في العصر الحديث.

وتناول الحجاج من زاويتين مُتقابلتين، من زاوية بلاغية ومن زاوية جدلية، فمن الزاوية البلاغية يربط الحجاج بالجوانب المتعلّقة بالإقناع، ومن الزاوية الجدلية يُعدّ الحجاج عمليّة تفكير تتمّ في بنية حوارية، وتنطلق من مقدّمات لتصل إلى نتائج ترتبط بها بالضرورة، فهاتان النظريّتان المتقابلتان تتكاملان في التحديد الذي يُقدّمه أرسطو لمفهوم الخطاب، إذ يبنيه انطلاقًا من أنواع الحضور، ومن رغبة في الإقناع، ويُحدّده في ثلاثة أنواع هي: النوع الاستشاري والقضائي والنوع القيمي"[1].

وميّز أرسطو بين ثلاثة مستويات من الحجج.

1. **الآيتوس**: "**ETHOS**" الباثّ أو الخطيب، يصف الخصائص المتعلّقة بشخصيّة الخطيب والصورة التي يُقدّمها عن نفسه"[2].
2. **الباتوس**: "**PATHOS**" المتلقّي، المستمع، ويُشكّل مجموعة من الِانفعالات، يرغب الخطيب في إثارتها لدى المستمعين.
3. **اللوغوس**: "**LOGOS**" الرسالة، الخطبة، وتُمثّل الحجاج المنطقي، الذي يُمثّل الجانب العقلاني في السلوك الخطابي، فيرتبط بالقدرة الخطابية على الِاستدلال والبناء الحجاج"[3].

---

[1]- مُحَمَّد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، المغرب، ط1، 2005، ص15.

[2]- حسن بوبلوطة، الحجاج في الامتناع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، مذكرة ملجيستر، كليّة الآداب والعلوم الِانسانية، جامعة الحجاج لخضر باتنة، الجزائر، 2009، ص201.

[3]- مُحَمَّد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، المغرب، ط1، 2005، ص18.

فالبلاغة عند أرسطو عبارة عن أداة يُمكن اِستعمالها بالخير أو بالشرّ، وتُستعمل للعدل كما تُستعمل للظلم، فقد جعل منها تقنية حجاجية، فكان الإقناع عنده هدفًا منشودًا، ولأنّ الخطابة تقوم عنده على ثلاث محاور:

- ≈ استكشاف الحجج الواردة.
- ≈ ترتيب أجزاء العقول.
- ≈ الترابط بين أقسام الخطاب والأسلوب، ويتمثّل بالخصائص الفردية للخطاب.

ومن هنا نستنتج أنّ الحجاج الأرسطي رفض العديد من الأساليب والمغالطات السفسطائيّة، ودعا إلى بلاغة يكون مركزها الحجاج، وتكون العناية فيها بمختلف أطراف العملية التواصلية لأنّه لم ينظر إلى الحجاج بطريقة اختزالية وإنّما نظر إليها بكونها طريقة تفاعلية مع مختلف فروع المعرفة الإنسانية.

الحجاج في الفكر الغربي الحديث:

ينحدر توجّه الحجاجيّات اللسانية من أصلين معرفيّين، أحدهما تُمثّله النزعة التداولية في اللغويات المعاصرة، والثاني تُمثّله أعمال الخطابة الجديدة مع رائديها "بيرلمانو"تيتيكاه"، "فقد مثّلَت الحجاجيّات اللسانية مجاوزة حقيقية لكثير من الأفكار التي تبلورت في إطارها لتتمكّن بفضل ذلك من رسم معالم دقيقة لدرس جديد مُستقلّ بموضوعه، درس ينطوي على نضج نظري يخرجه من دائرة النظريات الفلسفية ليُلحِقَه بالممارسة العلمية اللسانية"[1]، فقد نتج عم هذه الجهود إعادة النظر في البلاغة اليونانية، وقراءتها قراءة جديدة، وتوظيف فيها ما توصّلت إليه اللسانيات المعاصرة، وإذا كان الحجاج قد عرف اهتمامًا واضحًا في بلاغتي التأويل والتلقّي، فقد برز مع جهود المدرسة البلجيكية ورائدها بيرلمان.

1. الحجاج عند بيرلمانوتيتيكاه:

[1]– حافظ إسماعيل العلوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم التب الحديث، الأردن، د. ط، 2010، 2/ 79.

لقد أسهمت بحوث (بيرلمانوتيتيكاه) في الكشف عن جوانب عميقة في الدرس البلاغي المعاصر بوصفهما تأمّلًا في اللغة والفكر، وذلك من خلال كتاب بيرلمان "البلاغة الجديدة" la nouvelle 1958rhétorique، وهو عنوان فرعي لكتاب "مصنّف في الحجاج" وكتاب آخر بالاشتراك مع تيتيكاه "دراسة الحجاج"[1]، والذي درسنا فيه التقنيّات التي تؤدّي إلى التسليم بالموضوعات المعروضة.

فالحجاج في نظرهما يتجاوز النظر فيما هو حقيقي مثبت، إلى تناول حقائق مُتعدّدة ومتدرّجة، فمبعثه هو الإختلاف وشرطه أن يقوم على موضوعية الحوار، حيث يقف فيه الحجاج موقف الشريك المتعاون من أجل تحقيق غايته، وهي استمالة العقول –المتلقّي– لما يعرض عليه ويجعل العقول تذعن لما يطرح عليها، وأن يزيد في درجة إذ عانها باعتماد وسائل التأثير في عواطفه وخيالاته وإقناعه"[2]، ويُعرّف بيرلمان الحجاج على أنّه مجموعة من "التقنيّات الخطابية التي تسمح بإثارة أو زيادة موافقة الإذعان مع الأطروحات التي تعرض عليها بهدف تقبّلها"[3]، ويتميّز الحجاج عنده بخمسة ملامح رئيسيّة وهي[4]:

1 أن يتوجّه إلى مستمع.

2 أن يُعبّر عنه بلغة طبيعية.

3 مسلمات لا تعدو أن تكون احتمالية.

4 لا يفتقر تقديمه إلى ضرورة منطقية.

5 ليست نتائجه ملزمة.

---

[1]– مُحَمَّد سالم الأمين، طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد، ليبيا، ط1، 2008، ص102.

[2]– خليفة بوجادي، اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2002، ص107.

[3]– فيليب بروتن وجيل جونيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: مُحَمَّد صالح ناجي الغامدي ، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، ط1، 2011، ص45.

[4]– حافظ إسماعيل العلوي، الحجاج، مفهومه ومجالاته، 182/20.

وبالإضافة إلى اِعتماد الدراسات الحجاجية المعاصرة على أعمال كلّ من "بيرلمانوتيتيكاه" فإنّه يقوم على أعمال آخرين منهم "تولمين"، "ديكرو" و"أنسكومبر"

2_ الحجاج عند ديكرو:

إنّ الحديث عن الحجاج في اللغة يقتضي منّا الوقوف عند مؤلّفاته، ولاسيما كتابه (الحجاج في اللغة l'argumentation dans la langue) الذي كتبه بمعية كلود أنسكومبر C. Anscombre وفيه تحدّث عن حجاج مختلف عن الحجاج عند بيرلمان، فهو يقوم على اللغة بالأساس، أي يكمن فيها، بينما فرّق بيرلمان الحجاج بِاعتباره "مجموعة من الأساليب والتقنيات في الخطاب، تكون شبه منطقية أو شكلية أو رياضية"[1]، فالحجاج عند ديكرو كامن من حيث بنيته في اللغة ذاتها، كما يدلّ على ذلك عنوان الكتاب الذي وسم بالحجاج في اللغة؛ إذ يكون بتقديم المتكلّم قولًا يقضي إلى التسليم بقول آخر، فهو إنجاز لعمليتين، عمل صريح بالحجّة، وعمل بالِاستنتاج، ويرى ديكرو: "أنّ كلّ قول يحتوي على فعل إقناعي، فأن تتكلّم يعني أنّك تحتاج لكلّ قول حجاجي، ولا وجود لكلام دون شحنة حجاجية، فالحجاج عنده هو علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب تنتج عن عمل المحاججة"[2]، وهذا على عكس ما يرى "بيرلمان" في تعريفه للحجاج، إذ يأخذ لماهية الخطابة عند أرسطو، فهو كلّ قول يهدف من ورائه إلى ممارسة فعل إقناعي على مخاطب، لكن ليس كلّ قول حجاجًا أو حتّى ذا اِتّجاه حجاجي.

[1]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص22.

[2]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، المغرب، ط1، 2006، ص14- 16.

3_ الحجاج عند مايير: ينطلق مايير من الحقل الفلسفي الإبستيمولوجي الذي يسعى هذا المفكر (مايير) من خلال مشروع فكري ألا وهو إقامة نظرية بلاغية أساسها فكرة التساؤل والمساءلة، وثانيًا يهدف إلى توضيح معالم الميتافيزيقيا من خلال تأكيده على أزمة الفكر الغربي المعاصر وفلسفته"[1].

فنظريّة المساءلة عنده تعدّ إحدى النظريّات المعاصرة التي قامت بمعالجة الخطاب بصفة عامّة.

وبعدها تطرّق "مايير" إلى الحديث عن الحجاج ودوره في الكلام، فلقد عرّف الحجاج بقوله: "دراسة العلاقة القائمة بين ظاهرة الكلام وضمنيته"[2]، فالحجاج عنده يقوم على حجاج صريح ظاهره واضح غير معقّد وحجاج ضمني يحتاج إلى سامع واعي.

وأهمّ ما رصده في العملية الحجاجية هي ربطه نظرية الحجاج بنظرية المساءلة، فالحجّة عنده عبارة عن جواب أو وجهة نظر يجاب بها عن سؤال مقدّر يستنتجه المتلقّي ضمنيًّا من ذلك الجواب، أو يُمكن أن نقول أنّ الحجّة عبارة عن جواب لسؤال ضمني يستخرج من الجواب نفسه[3]، فالسؤال عنده هي عبارة عن مشكلة تتطلّب إجابة، وتكون هذه المشكلة موجودة فيها، فالمتلقّي في هذه الحالة يعتبر هو الذي يطرح الأسئلة من خلال الجواب المطروح به والحجّة، لكن بمساعدة معطيات مقامية، فالحجاج عند "ميشال مايير" عبارة عن إثارة الأسئلة والتي تكون بموجبها هذه الثنائية (سؤال/ جواب).

---

[1]- مُحَمَّد سالم مُحَمَّد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتب الجديد المتحدة، بن غازي، ليبيا، ط1، 2008، ص193.

[2]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، بيروت، ط2، 2007، ص37.

[3]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، بيروت، ط2، 2007، ص 38.

2_ الحجاج في الفكر العربي القديم:

للحجاج جذور قوية في الخطاب العربي، ناهيك عن الدور المهمّ الذي لعبه في الحياة العقدية والسياسية في لبيئة العربية الإسلاميّة، وظهر ذلك جليًّا عند العرب القدامى في كتبهم ومؤلّفاتهم، وهذا لِاهتمامهم بالحجاج، واستخدموا في عدّة مجالات مبنية على الحجج والأدلّة أثناء عمليّة التواصل "ولقد شغل موضوع الحجاج الكثير من علماء اللغة القدماء مثل (الجاحظ) في (البين والتبيين)، ابن رشيد عبد الله بن المعتر، السكاكي (في مفتاح) وغيرهم من علماء اللغة الذين صنعوا مكانة مهمّة للحجاج، وهذا ما ساعد في تطوير البلاغة العربية ونشأة التأليف فيها"[1].

ارتبطت دراسة الحجاج والِاهتمام به عند الجاحظ بدراسة البيان، الذي اهتمّ فيه "بالفهم والإفهام، وبذلك مفهوم البيان عنده يتلخّص في المعرفة والإقناع كمفهومين ووظيفتين في آن واحد، البيان معرفة: الوظيفة الإفهاميّة، البين إقناع: الوظيفة الإقناعية"[2].

وفي هذا الجوّ الجديد يظهر الجاحظ مدافعًا عن الحوار وثقافته ومحاولًا وضع نظرية لبلاغة الحجاج والإقناع، أساسها مراعاة أحوال المتخاطبين"[3].

كما اهتمّ الجاحظ بالفعل اللغوي، واعتبره الأساس لكلّ عمليّة بيانيّة حجاجيّة، ويمكن استخلاص بعض آراء في ضوء الخطاب الحجاج خاصّة، من خلال كتابه "البيان والتبيين" فيما يلي: حيث أرجع الوظائف البيان إلى ثلاث وظائف:

- الوظيفة الإخبارية المعرفية: (حالة الحياد) وفيها يتمّ إظهار الأم على وجه الإخبار قصد الإفهام.
- الوظيفة التأثيرية: (حالة الاختلاف) ففيها يتمّ تقديم الأمر على وجه الِاستمالة وجلب القلوب.

[1]- مُحَمَّد سالم الأمين طبلة، الحجاج في البلاغة العربية، دار الكتابة الجديدة المتحددة، 2008، بيروت، لبنان، ط1، ص210.
[2]- مُحَمَّد العمري، البلاغة العربية أصولها وإمتداداتها، افريقيا الشرق، المغرب، ط1، 1999، ص193/ 195.
[3]- مُحَمَّد سالم الأمين، الحجاج في البلاغة العربية، ص197.

- الوظيفة الحجاجية: (حالة الخصام) ففيها يتم إظهار الأمر على وجه الِاحتجاج والاضطراب، وقد كان تركيزه على الوظيفة التأثيرية.

إنّ السكاكي من العلماء الذين كانت لهم بصمة خاصّة به في الدرس البلاغي، حيث اِعتبر العمل البلاغي الذي قدّمه في كتابه "مفتاح العلوم" صورة نهائية لعلم البلاغة العربي، رغم التعرض الكبير للاِنتقادات الموجّهة لهذا العمل.

ولقد تناول السكاكي الحجاج بالاِستدلال الذي تحدّث عنه في كتابه "مفتاح العلوم"، وسعى فيه إلى ربط البلاغة بالمنطق انطلاقًا من الاِستدلال الذي هو مكمّل للمعاني والبيان.

وما ميّز بلاغة "السكاكي" هي تلك الصبغة المنطقية التي طغت مفتاحه، فأنتجت بلاغة إقناعية تشكّلت ملامحها من خلال تصوّره للبلاغة ومباحثها، إضافة إلى عنايته بالمقام والمخاطب، دون أن ننسى اِهتمامه بالاِستدلال واللزوم في البيان.

إنّ عبد القادر الجرجاني من الذين درسوا النحو، حيث ألّف فيه واِهتمّ بموضوع الحجاج، حيث تجلّى الملمح الحجاجي عنده من خلال حديثه عن النظم الذي اقترن بفكرة الإعجاز القرآني: "لذلك أولاه عناية خاصّة ضمن (كتابيه) (الدلائل والأسرار)، حيث أكّد فيهما على أهميّة النظم، مُبيّنًا مفهومه وآليّات اشتغاله داخل الخطاب، وتأثيره على المخاطب في إطار التواصل من الناحية التداولية (الحجاجية) والتخييلية، مُستدلًّا على ذلك بنماذج شعرية توضيحية"[1].

[1]- نور الدين بوزناشة، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني العربي، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه، سطيف، جامعة لمين دباغين، 2015- 2016.

والرؤية الحجاجية ظهرت عند (الجرجاني) في دفاعه عن الشعر والإستشهاد به، وكذلك إستعمله -الحجاج- في سياق عرضه لنظرية النظم التي تبنّاها وإنطلق منها، ويُعتبر الجرجاني أوّل من إستخدم آليّات حجاجية لوصف الإستعارة.

نفهم من كلام "ابن وهب" أنّه وضع الحجاج تحت إسم الجدل، فهو يقع في العلّة من بين سائر الأشياء، وينبغي للمجيب أن يقنع ويكون إقناعه الذي يوجب على السائل القبول، وأنّ تقسيمه للجدل كان على أساس تصنيفات أخلاقية، ميّز فيه بين المحمود والمذموم "فأمّا المحمود، فهو الذي يقصد به الحقّ، ويستعمل فيه الصدق، وأمّا المذموم فما أريد به المماراة والغلبة وطلب به الرياء والسمعة"[1]، كما بيّن أيضًا أنّ العلماء وذوي العقول من القدماء قد إهتمّوا بقيمة الإحتجاج وإقامة الحجّة، حيث قال: "وقد أجمعت العلماء وذووا العقول من القدماء على تعظيم من أفصح عن حجّته، وبيّن عن حقّه، وقصر عن القيام بحجّته"[2].

ونؤكّد من خلال محاولة تتبّع المدارس العربية من خلال روّادها، أنّها أفادت الدرس اللساني القديم بدرجة واضحة، وأضافت كلّ حسب إنشغالاتها وموقعها، فقد عملت على توعية القارئ العربي بهذا التيار، وأهمّ مفاهيمه، ثمّ بُنيَت دور الحجاج في الثقافة العربية القديمة.

الحجاج في الفكر العربي الحديث:

أمّا في الدراسات المعاصرة، فعرف الحجاج غاية كبيرة من الباحثين العرب، فقد غدا علماء قائمًا بذاته، فهناك كثير من المفكّرين أسهموا بشكل كبير في بناء نظرة جديدة للدّرس الحجاجي. فإنطلقوا بالبلاغة العربية من الإرث العتيد لتأصيل مقاربة نقديّة تمكّن من الإنفتاح على مختلف نتائج المناهج القديمة والعلوم الإنسانية الحديثة والإستفادة منها، وهو ما يُتيح فتح آفاق جديدة لدراسة المخزون والتراث البلاغي العربي

[1]- أبو الحسن إسحاق بن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح: جفني مُحَمَّد شرق، مطبعة الرسالة عائدين، مصر، د. ت، ص176.

[2]-

الغنيّ، وفق منظور حداثي بناء على المزاوجة بين القديم العربي والحديث العربي، نتجت عنها بلاغة جديدة بنكهة عصرية. اِمتازت نظرة "طه عبد الرحمان" بالطابع الفلسفي، لأنّه أستاذ للمنطق وفلسفة اللغة، كذلك اِعتماده على أصول فلسفية ومنطقية كمؤلّفات العربية القديمة والغربية القديمة منها والحديثة.

حيث وضع نظرية الحجاج في كتاب (اللسان والميزان والتكوثر العقلي) كونه صفة للخطابة "إنّ الأصل في تكوثر ... الخطاب هو صفته الحجاجية بناءً على أنّه لا خطاب بغير حجاج"[1].

وقد قال طه عبد الرحمان أنّ الفعالية الحجاجية صفة لكلّ خطاب طبيعي فيرى أنّ حقيقة الاِستدلال في الخطاب الطبيعي هو أن يكون حجاجيًّا.

وعرّف الحجاج بقوله: "إذا حدّ الحجاج أنّه كلّ منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها"[2]، ولقد أكّد أنّ الحجاج ميزة تسجّل حضورها بقوّة في الخطاب، وهو بذلك يخضع لعدّة اِعتبارات.

ومعنى هذا أنّ ما يحدّد مفهوم الخطاب "هو العلاقة الاِستدلالية وليس العلاقة التخاطبية وحدّها فلا خطاب بدون حجاج"[3]، ولقد صنّف الحجاج إلى ثلاثة أصناف وهي:

الحجاج التجريدي فهو "الإتيان بالدليل على الدعوى على طريقة أهل العلم، ينبني على اِعتبار الصور وإلغاء المضمون والمقام، أي أنّه مظهر فقير من مظاهر الاِستدلال في الخطاب الطبيعي"[4].

وبهذا نستنتج أنّ الحجاج التجريدي في مكانة أدنى ممّا هي عليه العلاقة الاستدلالية المميّزة للخطاب فهو لا يُمثّلها بأيّ طريقة.

---

[1]- عبد الرحمان طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، دار البيضاء، المركز الثقافي، ط1، 1998، ص226.

[2]-المرجع نفسه، ص226.

[3]- المرجع نفسه، ص226.

[4]- المرجع نفسه، ص227.

الحجاج التوجيهي: وهو "إقامة الدليل على دعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختصّ به المستدلّ، والتوجيه هنا هو إيصال المستدلّ حجّته إلى غيره، وهذا النوع من الحجاج تدعمه النظرية اللسانية المعروفة بِاسم نظريّة أفعال الكلام والتي تردّ الأفعال إلى القصد والفعل وهما عماد التوجيه أو الحجّة الموجّهة، إن زادت على الحجّة المجرّدة درجة بفضل اِعتبارها لمقام المدّعي قصدًا وفعلًا"[1].

الحجاج التقويمي: هو "إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدلّ على أن يجرّد نفسه ذاتًا ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه، أو ما يسمّى بالتشخيص في النظرية اللسانية، وبهذا نرى أنّ الحجّة المقومَة (بفتح الميم) تنبني على اِعتبار فعل التلقّي معًا على سبيل الجمع والاِستلزام"[2].

يُسمّيه مُحَمَّد العمري "الخطاب الإقناعي" في كتابه: (في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري فتطبيقي لدراسة الخطابة العربية)، في هذه الدراسة محاولة لتتبّع الخطاب الإقناعي (الحجاج) في متن الخطابي العربي في القرن الهجري الأوّل، حيث يعتمد كلّ الاعتماد على الأسس الأرسطية لبلاغة الخطاب، أو الخطاب عمومًا، ولاسيما الحجج والبراهين الخطابية، إلّا أنّه ركّز على عنصرين هما المقام وصور الحجاج[3].

ويُعدّ أبو بكر العزاوي بحكم اِنفتاحه على الدراسات العربية اللغوية، ويُعدّ من روّاد النظرية الحجاجية، أو يكاد الدرس الحجاجي المعاصر يرتبط به اِرتباطًا وثيقًا، إذ يُعدّ من المشاريع الجديدة للدراسات الحجاجية، له مجموعة من الكتب والمقالات، أهمّها "اللغة والحجاج" و"الخطاب والحجاج"، ويرى أنّ النظرية الحجاجية الحديثة اِنطلقت من "أوستين و"سيرل" اللذين قاما بتقديم أبحاث حول مفهوم الأفعال اللغوية، وقد قام "ديكرو"

[1]–عبد الرحمان طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، دار البيضاء، المركز الثقافي، ط1، 1998،ص228.

[2]– المرجع نفسه، ص228.

[3]– ينظر: مُحَمَّد العمري، في بلاغة الخطاب الاقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، افريقيا الشرق، المغرب، لبنان، ط2، 2002.

بتطويرها، والمراد عنده من مفهوم الحجاج هو ما أسّس على بنية الأقوال اللغوية، وعلى تسلسلها وإشتغالها داخل الخطاب[1].

وإذا خرجنا إلى المدرسة المغاربية نجد "حمادي صمود" صاحب البحوث الرائدة في هذا المجال، كما جهود "مُحَمَّد العمري" الذي كانت له الريادة، وذلك لإنتباهه المبكر إلى دور الحجاج في قراءة النصوص البلاغية والخطابية، وهو إنتباه ولّده إطّلاعه المكثّف على نصوص التراث العربي والغربي قديمها وحديثها"[2].

ويُركّز "مُحَمَّد العمري" في قراءته هذه على الأبعاد التداولية في البلاغة العربية القديمة وعلاقتها بمختلف العلوم الأخرى، لكنّه قبل أن يصل إلى تلك الأبعاد نجده يتشبّع مسيرة البلاغة العربية في إهتمامها بالحجاج من جهة، وفي علاقتها بالنصوص الأرسطية من ناحية أخرى

الحجاج الإقناعي:

لا غرار أنّ مصطلح الإقناع في تراثنا العربي مبثوث في المدوّنات، وكانت له دلالات عميقة، لأنّ القرآن الكريم جاء بمقابلة الحجّة بالحجّة، واحترام الآراء والقناعات، لذلك معروف عندهم.

فنجد أنّ القرطاجي في كتابه يعرّفه بقوله: "هو حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلّي عن فعله وإعتقاده"[3]، وقد استعمل البلغاء والأدباء قديمًا ما يؤدّي معنى الإقناع وإن لم يُصرّحوا به، وفي هذا يقول الجاحظ مثلًا: "إذ كان المعنى شريفًا واللفظ بليغًا، وكان صحيح الطبع بعيدًا عن الإستكراه، وكان منزّهًا عن الإختلال، مصونًا عن التكلّف، صنع في القلب صنيع الغيب في التربة العربية"[4].

[1]– أبو بكر الغراوي، الخطاب والحجاج، مؤسّسة الرحاب الحومة، بيروت، لبنان، ط1ن 2010، ص35.

[2]– مُحَمَّد سالم، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص243.

[3]– القرطاجي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: مُحَمَّد بن الخوجة، الشركة الوطنية للنشر، تونس، ط1، 1966، ص20.

[4]– بن عيسى الطاهر، أساليب الإقناع في القرآن الكريم، دار الضياء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006، ص20.

ونلمس هذا المعنى أيضًا عند الرماني الذي يقوم عن البلاغة: "هي إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"[1]، فتوصيل المعنى إلى النفوس هو غاية من غايات الإقناع، إن لم يكن هو الإقناع نفسه.

في الخطاب القرآني كان الحجاج عنصرًا مهما في عملية الإقناع، وفي إدراك الحقّ وقبوله، ولقد أعطى القرآن العقل مكانة كبيرة ونوّه به في العديد من الآليّات حتّى أنّه وصف الذين لا يعملون عقولهم، ذلك أنّ "الإسلام يريد أن يحصل الانسان على القناعة الذاتية المرتكزة على الحجّة والبرهان في إطار الحوار الهادي العميق في قضايا العقيدة وبحرها"[2]، وعليه، فالهدف من كلّ العمليّات التي كان يقوم بها القرآن الكريم في عقول الناس وقلوبهم هو الإقناع، واِعتمد القرآن الكريم في عملية الإقناع على أسلوب الجدل.

إنّ مسألة الإقناع لا تتحدّد في ذاتها، وإنّما بمدى نجاعة الحجاج، فنجاعته تكمن في إقناع المتلقي بما طرحه المنتج في العملية الحجاجية، وفي هذا يقول بيرلمانوتتيكا: "إذ كان العقول بالتصديق لما يطرحه المرسل، أو العمل على زيادة الإذعان هو الغاية من كلّ حجاج، فأنجع حجّة هي تلك التي تنجح في تقوية حدّة الإذعان عند من يسمعها، وبطريقة تدفعه إلى المبادرة سواء بالإقدام على العمل أو الإحجام عنه، أو هي على الأقلّ ما يحقّق الرغبة عند المرسل إليه في أن يقوم بالعمل في اللحظة الملائمة"[3]، ومن الملاحظ أنّ هذا التعريف يولي الإقناع مكانته بأن جعل منه لبّ العملية الحجاجية، كما اِعتبره أثرًا مستقبليًا يتحقّق بعد التلفظ بالخطاب.

وبلاغة الإقناع عرفت قرونًا من الإهمال، حتى ظهر مصنّف في الحجاج لبيرلمان CH. PerlemanوتيتيكاL. OlberechtsTyteca سنة 1958، وهو المعجم الحقيقي المجمل لكلّ أشكال

[1]– بن عيسى الطاهر، أساليب الإقناع في القرآن الكريم، دار الضياء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006،ص21.

[2]– أمنة تلعبي، الإقناع للمنهج الأمثل للتواصل والحوار، مجلّة التراث العربي، العدد 89، ص225.

[3]–عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، لبنان، د. ط، 2004، ص92.

الحجج ونأثيرها"[1]، لذا عرّف بيرلمان الحجاج مُركّزًا فيه على الوظيفة بقوله: "حمل المتلقّي على الإقتناع بما نعرضه عليه، أو الزيادة في حجم الإقتناع"[2].

ومن بين الدراسات الأولى التي تطرّقت للحجاج بشكل دقيق كتاب "فنّ الإقناع" 1985 لمحمد العمري، حيث اِقترح خطاطات ونماذج عملية لتحليل الخطبة تحليلًا حجاجيًّا، أمّا في كتابه "في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية" فقد سمّى الحجاج بـ "الخطاب الإقناعي"، وقد حاول تتبّع الحجاج في متن الخطاب العربي في القرن الأوّل من الهجرة، مستعينًا في عمليته بالإرث الأرسطي في هذا المجال، حيث يقول "وبدأ الحنين في حديد إلى ريطورية أرسطو،التي تتوسّل إلى الإقناع في كلّ حالة على حدة، بوسائل متنوّعة حسب الأحوال"[3]، وركّز في تصنيفه على المقام وصور الحجاج، فالإقناع عملية طرح الحجج ومحاولة حمل المخاطب على الإذعان في قبول ما يطرحه المتكلّم، تقريبًا عند القرطاجني، وهناك مفهوم يرى أنّ الإقناع هو: "العملية التي بها يؤثّر الخطاب في مواقف الإنسان وسلوكه بدون إكراه أو قسر"[4]، ومن خلال هذا نلاحظ أنّ هناك اِرتباط الحجاج بالإقناع أمر مفروغ منه، إذ أنّه يعدّ الوجه الآخر للحجاج، فهدف اِستخدام الحجاج في الخطاب هو إقناع المتلقّي بفحوى ذلك الخطاب، وجعله يذعن لما يطلبه المتكلّم، وعليه فمفهوم الإقناع يقترب من مفهوم الحجاج.

كما أنّ الحجاج يستهدف مستمعًا عامًّا بالإضافة إلى المستمع الخاصّ، أمّا الإقناع فإنّه يستهدف مستمعًا خاصًّا ومقصودًا"[5]، وذلك عندما نفرّق بين الإقناع والإقتناع، فيجعل غاية الحجاج الإقتناع وليس الإقناع،

---

[1]– حافظ إسماعيل العلوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ص51.

[2]– سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنياته وأساليبه، ص21.

[3]– مُحَمَّد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، دار الثقافة، المغرب، ط1، 1986، ص9.

[4]– ابن عيسى، مطاهر أساليب الإقناع في القرآن الكريم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص21.

[5]– عبد العزيز لحويدق، الأسس النظرية لبناء شبكات قرآنية للنصوص الحجاجية (مقال)، ص346.

وخلاصة القول هناك العديد من المصطلحات التي تدور في فلك الجهاز المفاهيمي للحجاج والتي لا بدّ من التوقّف عندها لرصد علاقتها بالحجاج حتى يتحدّد مفهوم الحجاج بصورة أوضح.

الآليات اللغوية:

لما كانت للغة وظيفة حجاجية، كانت التسلسلات الخطابية محدّدة بواسطة العناصر وبنية الأقوال اللغوية، فقد اِشتملت اللغات الطبيعية على مؤشّرات لغوية خاصّة بالحجاج، فاللغة العربية مثلًا اِشتملت على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلّا بالإحالة على قيمتها الحجاجية، نذكر من هذه الأدوات: لكن، بل، حين، لا سيما، إذ، لأنّ، بما أنّ، مع ذلك، ربما، تقريبًا، إنّما، ما، إلّا...الخ[1].

1/ الآليات الحجاجية:

أ. الآليات البلاغية:

تُعدّ البلاغة آلية من آليّات الحجاج، وذلك لِاعتمادها الاِستمالة والتأثير عن طريق الحجاج بالصورة البيانية والأساليب الإنشائيّة، أي إقناع المتلقّي عن طريق إشباع فكره ومشاعره معًا حتّى يتقبّل القضية أو الفعل في موضوع الخطاب.

ويعتمد الخطاب في الحجاج على تقنيات مخصوصة لا تختصّ بمجال من المجالات دون غيره، فهي مطاوعة حب اِستعمال المرسل لها، إذ يختار حججه وطريقة بنائها بما يتناسب مع السياق يحف خطابه، ويعمد المرسل إلى توظيف هذه الآليات والأساليب البلاغية بخصائصها وإمكانيّاتها الإقناعية، فتكون بمثابة قوالب تنظيم الحجج، فتعين على تقديم حججه في الهيكل الذي يتناسب والسياق الذي ترد فيه[2].

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص27.

[2]- إيمان درنوني، الحجاج في النص القرآني، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2013، ص68.

والأساليب البلاغية قد يتمّ عزلها عن سياقها البلاغي ليؤدّي وظيفة جمالية، بل تؤدّي وظيفة إقناعية اِستدلالية، من هنا يتبيّن أنّ معظم الأساليب البلاغية تتوفّر على خاصية التحوّل لأداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية[1]، ومن الأساليب البلاغية الحجاجية نذكر على سبيل المثال: التشبيه، الكناية، الإستعارة، الطباق، الجناس....

1. التشبيه:

يُعتبر التشبيه من آليات الحجاج البلاغية، وقد اِعتمده ابن غانم المقدسي كثيرًا في كتابه، فالتشبيه هو عقد مقارنة بين الطرفين ويشتركان في صفة واحدة، ويزيد أحدهما على الآخر في هذه الصفة، ومن أمثلته في كتاب "كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار" قول الشاعر:

الراح كالريح إن مرّت على عطر طابت وتخبث إن مرّت على الجيف[2]

شبّه الشاعر في هذا البيت الشعري الراح (الشيئي راحه ويريحه، أي وجد ريحه) بالريح، حيث ذكر المشبه (الراح) وذكر المشبه به (الريح (النسيم)) والأداة (الكاف) على سبيل التشبيه المجمل.

2.الاستعارة:

هي آلية من آليات الحجاج البلاغي، حيث يسعى إليها المرسل لتحقيق أهدافه، وإذا عدنا إلى كتاب ابن غانم فإنّنا نجدها تتوفّر على هذه الآليات، ومن أمثلتها:

هب الصبا سحرًا لتبرد علّتي فأثار نار تحرّقي وتوجّعي

ما ذاك إلّا أنّها لما سرت مرّت على تلك الربا الأربعاء

[1]– صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، سوريا، ط3، 2008، ص50.

[2]– ابن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، ص47.

فتحمّلت نشر الصبا في طيّها فكسّرت وسمعت ما لم يسمع

وآفت تبشر في بلبل أنها في حسنها سفرت فلم تتبرقع[1]

لجأ الكاتب في هذا البيت إلى اِستعمال الاستعارة، لأنّها أقوى حجاجيًّا من الأقوال العادية، لقوله: "هب الصبا سحرًا لتبردعلّتياستعارة مكنية.

3. السجع:

هو تشابه فواصل الكلم على نفس الحديث تقريبًا، بمعنى أن تكون الجمل متساوية في عدد كلماتها ومحتوية على نغمة الإيقاع متشابهة وجاء في كتاب ابن غانم بقوله:

إن يكن منّي دني أجلي آه وأذلي ويا خجلي

قمت من ذُلّ على قدمي مطرقا للرأس من ذللي

إن يكن في القادمين غدًا نافعي علمي ولا عملي[2]

وقال أيضًا: "إن ظمئت رواني، وإن متُّ واراني، فحياة وجودي بحياته، وبقاء شهودي بنباته، وقيام ذاته بذاته، وصفاء صفاتي بصفاته"[3].

4. الطباق:

وهو من المحسنات البديعية وهو الآخر من الآليات الحجاجية البلاغية ويقول صابر الحبشة: "إن محسنا لهو حجاجي إذا كان استعماله، وهو يؤدّي دوره في تغيير زاوية النظر، يبدو معتادًا في علاقته بإحالة الجديدة

[1]– ابن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، ص49.

[2]– ابن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، ص58.

[3]– صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2008، ص51.

المقترحة وعلى العكس من ذلك، فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب فإن المحسن سيتمّ إدراكه بإعتبار زخرفة، أي باعتباره محسن أسلوب، ويعود ذلك إلى تقصيره عن أداء دور الإقناع"[1].

ولقد ورد الطباق في كتاب ابن غانم في قوله:

ينوح على من علم بأنّي ملقّى للفناء بكلّ فنّ

وأنت تظنّه لعبًا ولهوًا فتمرح بين عيداني وعضي

حقيقًا أن يناح عليك إذا لم تفرق بين أفراجي وحزين[2]

وهنا وظّف الكاتب الطباق (أفراحي- حزين) ليصل إلى أهداف حججية وهو إقناع المتلقي بأنّ زهرة الأقحوان تنبت بين ضفاف الأنهار بحيث يأتي النسيم يمرح بين أغصانها وأوراقها، ولا يفرّق بين أفراحها وأحزانها، وهذا تعبير عن الفرح والسرور وقوّة الصبر.

5. الجناس:

هو تشابه لفظين في النطق وإختلافهما في المعنى، ويعتبر نوع من أنواع المحسنات البديعية وآلية من آليات الحجج البلاغية، ومن أمثلته قول ابن غانم المقدسي: "إلّا من له شوق صحيح وذوق صريح، ومن هو على زهد المسيح، وصبر الذبيح، فأنارفيق السواح، في الغدو والرواح، فأفوز بالأجور، وأسلم من حضور أهل الفجور، ومن يقترف المعاصي بالجحور"[3].

ولجأ الكاتب في هذا المثال إلى إستعمال الجناس (صحيح، صريح)، (السواح، الرواح)، (الأجور، الفجور)، بحيث الشاعر وظّف الكثير من المحسنات البديعية بغرض إقناع المتلقّي.

مفهوم الرابط والعامل الحجاجي:

[1]- المرجع نفسه، ص60.

[2]- صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2008، ص68.

[3]- المرجع نفسه، ص70.

تبرز الروابط والعوامل الحجاجية أهمّ السمات التي تساعد على فهم الخطاب وتأويله، واِتّباع الوجهة الصحيحة، وذلك من أجل الوصول إلى قصد المخاطب، فهي كالإشارات المرورية التي تساعد السائق على أخذ الحذر والحيطة في الطريق، كما أنّها تساعد على اِتّساق أجزاء الخطاب.

مفهوم الرابط الحجاجي:

اِرتبط مفهوم الروابط في عدّة دراسات بالمباحث النحوية والدلالية من دون النظر إلى الحجاجية والتداولية، إذ عدّ بعض الدارسين "أنّ دورها لا يتجاوز الربط بين الجمل والقضايا، أمّا بعدها الحجاجي فقد برز مع ديكرو، وفي إطار صياغتها للتداولية المدمجة وهي النظرية التداولية التي تُشكّل جزءا من النظرية الدلالية"[1].

وقد تميّزت الدراسات في تحديد مفهوم الرابط والعامل الحجاجي، بالاِختلاف، فمن الباحثين من جعل العامل والرابط اِسمًا لمفهوم واحد، كعز الدين الناجح، ومنهم من ميّز بين العامل والرابط حسب وظيفة كلّ منهما، واشتغاله داخل الخطاب، وأوّلهم صاحب نظرية (الحجاج في اللغة) ديكروDucrot.

وقد أدرج ديكرو مفهوم الرابط والعامل الحجاجي "لأوّل مرّة في مقاله المعنون بـ: "Note sur " l'argumentation et l'acte d'argumenter، المنشور سنة 1982، تمّ الفصل فيه بعد ذلك في مقاله المنشور سنة 1983، والذي يحمل عنوان: "Opérateurs argumentatifs et vise argumentative"[2]، فقد ميّز ديكرو بين نوعين من الواسماتالحجاجية في اللغة، وهما الرابط والعامل، وحاول وضع حدود لهما من خلال وظيفة كلّ منهما داخل البناء اللغوي للخطاب.

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص32.

[2]- حمو النقازي وآخرون، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 134، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص64.

وقد ميّز أبو بكر العزاوي بين الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية بقوله: "فالروابط تربط بين قولين أو حجّتين على الأكثر وتسند لكلّ قول دورًا محدّدًا داخل الإستراتيجية الحجاجية العامّة، فالروابط الحجاجية تربط بين القيمة الحجاجية لقول ما والنتيجة التي يمكن أن يؤدّي إليها، أي بتتمّته الممكنة والمحتملة، ولا تربط بتاتًا بالمعلوم الذي يتضمّنها"[1]، إذن فهو يربط بين وحدتين دلاليّتين أو أكثر، كما أنّ للروابط دورًا مهمًّا في الإنسجام اللفظي والتداولي، ودورها في إستمرارية اللغة والحفاظ على إنسجامه وإسهامه في الاتّساع والتدرّج.

ويعرّفه ب. شارودو، ود. منغنو الرابط في معجمهما بأنّه: "يوسّع مفهوم العاطف التقليدي بجمع عبارات تنتمي إلى مقولات نحوية متنوّعة من نوع أدوات العطف، وأدوات الربط التعليقيوالردائف، وتحليلها يبرز الوظيفة المشتركة بين هذا القسم من الكلمات، وهي الربط الذي تحدثه بين السياق اللغوي الذي يتّصل به، وذلك الملفوظ نفسه... والتأويل الحجاجي للروابط المكوّنة لقسم الروابط الحجاجية، هو ناتج عن ثلاث شبكات تأويل متفاوتة في الإتّحاد، ترجع إلى الإستلزام المنطقي، والعلاقة المادية نتيجة، والعلاقة حجة نتيجة"[2]، فالروابط في التداولية تتّخذ مفهومًا أوسع من الوظيفة النحوية بحيث تكتسب معاني جديدة، والبناء اللغوي المتغيّر وذلك بحسب مقاصد المخاطبية، فالروابط تختصّ في الربط بين حجج مختلفة داخل الخطاب أو ترتيبها، لذلك ميّز ديكرو بينها وبين العوامل فهي عنده: "يربط بين الأقوال من عناصر نحوية مثل: أدوات الإستئناف (الفاء، الواو، إذن، لكن...)"[3]، فالروابط تربط بين قولين أو بين حجّتين، وتسند لكلّ قول دورًا محدّدًا داخل الإستراتيجية الحجاجية العامّة.

---

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص33.

[2]- باتريك شارودو ودومينيك مانغنو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، مرا: صلاح الدين الشريف، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008، ص 127.

[3]- حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب، منوبة تونس، د. ت، ص376- 377.

وقد أضاف موشلاروروبول للروابط الحجاجية وظائف أخرى من بينها أنّ الرابط الحجاجي يُساعد في تقوية الحجج وتضييق دائرة التأويلات، وبذلك يكونان قد تجاوزا تعريف ديكرو بـ: "إسناد وظيفة ثانية للعوامل وهي تقوية طاقة الملفوظ الحجاجية، وذلك بتقليص ما يشبه الغموض، أو تعدّد في التأويلات التي يجعلها العامل الحجاجي محدّدة، وذلك بسرعة ربطه بين الحجّة والنتيجة، فلا يضيع المتقبّل في التأويلات المختلفة، التي لا توصله إلى المقصود من الحدث التلفظي"[1]، فقد حاول بعض الباحثين تصنيف الروابط الحجاجية في مجموعات، وذلك بحسب وظائفها الحجاجية، وحسب موقعها داخل التركيب.

وعند اِستعمال الروابط، ينبغي أن يكون الاِستعمال ملائمًا لدلالة القول وقصد المتكلّم، حتى تكون صياغة الكلام سليمة في مجملها لذلك: "فإنّ الربط بين القضايا إنّما يتحدّد بنوع من تجانس تعلّق الأحداث ممّا تشير إليه تلك القضايا"[2].

ويتمّ التجانس عن طريق ترتيب الجمل الفرعية والجمل الأصلية بحيث تترابط وتتحلف، فتؤدّي بذلك وظيفتها. أو هي روابط تربط بين قولين أو بين حجّتين على الأكثر، وتسند لكلّ قول دورًا محدّدًا داخل الحجاجية، ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية: لكن، حتى، لأنّ، الفاء، الواون الواو، أو، تمّ...

لكن: قد تميّز ديكرووأنسكومر في دراستهما العديدة للأداة "mais" بين الاِستعمال الحجاجي والإبطال، وإذا كانت اللغة الفرنسية تشمل على أداة واحدة تستخدم للحجج والإبطال، فإنّ لغات أخرى تتوفّر على أداتين: أداة للحجاج وأداة أخرى للإبطال، ويمكن أن نذكر بين هذه اللغات، اللغة الاِسبانية (simq. pero) والألمانية (samdermaber) والعبرية (ilay. axel) والعربية (بل، لكن)، ولكن اللغة العربية، وإن كانت

[1]– عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، ط3، صفاقس، تونس، 2011، ص33- 34.

[2]– فان دايك، النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، ص76.

تتلاقى مع الاسبانية والألمانية في توفّرها على أداتين فاصلة، فإنّها تختلف عنهما (وتتّفق مع هذا في الفرنسية) فإنّ كلّ أداة، أي أنّ لكلّ من "بل" و"لكن" يستعمل للحجاج والإبطال[1].

ونجدها في كتاب ابن غانم بقوله: "فلو صلح قلبي، لصلح أمري، ولو شاء ربي، لأطاب بين الخلائق ذكري، وأفاح بين الأزاهير عطري، لكن شذا الطيب لا يفوح، إلّا ممّن يطيب"[2]، ويظهر بوضوح تامّ الربط الذي أحدثه هذا الرابط (لكن)، فكان نقطة الفصل بين دليلين أحدهما قبله والآخر بعده.

حتى: قدّم كلّ من ديكرووأنسكومبر وصفًا حجاجيًا لأداة لمقابلة "حتى" الحجاجية في اللغة الفرنسية، أي الأداة "méme"، فالحجج المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى حجّة واحدة، أي أنّها تخدم نتيجة واحدة، ثمّ إنّ الحجّة التي ترد بعدهذا الرابط هي الأقوى، لذلك فإنّ القول المشتمل على الأداة "حتى" لا يقبل الإبطال والتعارض الإحتجاجي[3].

حيث ذكر ابن غانم المقدسي هذا النوع من الروابط الحجاجية من خلال قوله: "أنت في الصورة عروس، وفي المعنى كالظلة، الناووس أوقعك الرأي المعكوس، حتى خرجت من منزلك المأنوس"[4].

نلاحظ أنّ الحجة التي تأتي بعد الرابط "حتى" هي نتيجة أقوى من النتيجة التي قبلها، ويمكن أن نقول أنّ "حتى" تدلّ على الترتيب، أي أنّ ما قبلها يدلّ على الترتيب وحجّة ما بعدها ويمكن أن نعوّضها بالرابط الترتيبي "ثمّ".

الرابط الواو:

[1]- أبو بكر العزاوي، المرجع السابق، ص57.
[2]- ابن غانم المقدسي، المرجع السابق، ص76.
[3]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 73.
[4]- أبن غانم المقدسي، ص87.

اِعلم أنّ تمييز موضع العطف عن غير موضعه في الجمل كنحو أن تذكر معطوفًا بعضها على بعض تارة، ومتروكًا العطف بينهما تارة أخرى، وهو نوعان:

1. **القريب**: هو أن نقصد العطف بينهما بغير الواو أو بينهما، لكن بشرط أن يكون للمعطوف عليها محلّ من الإعراب.

2. **البعيد**: وهو أن نقصد العطف بينهما بالواو، وليس للمعطوف عليها محلّ إعرابي"[1].

وقد ورد في كتاب ابن غانم المقدسي: "وألّف بيني وبينهم من له الحكم القديم، فاذكر كما يذكرون، وأشكر كما يشكرون، وإذا ذكرت يشكرون، فأكون في الدنيا من خدامهم، وفي الجنّة تحت أقدامهم"[2].

تعتبر "الواو" من أهمّ الروابط الحجاجية، لها وظيفة تكمن في الربط بين الملفوظات التي تحمل طاقة حجاجية، وتعمل على تقويتها من أجل الوصول إلى نتيجة معيّنة.

الرابط الفاء:

الفاء العاطفة من الحروف التي تشترك في الإعراب والحكم، ومعناها التعقيب، فإذا قلت: قام زيد فعمرو، دلّت على أنّ قيام عمرو بعد زيد بلا مهلة، فتشارك "ثمّ" في إفادة الترتيب وتفارقها في أنّها تفيد الاِتّصال[3]، لقوله: "فناداه الخفاش، وهو في ارتعاش: إياك والزحام، فقد حام حول الحمى حام، وهو من ذوي الأرحام، فما أذن القسام إلّا لسام"[4]، حيث عملت على إيصال الحجج ببعضها البعض.

[1]- ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص249.

[2]- ابن غانم المقدسي، المرجع السابق، ص88.

[3]- المرادي الحسن ابن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قساوة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص61.

[4]- ابن غانم المقدسي، المرجع نفسه، ص89.

الرابط "أو":

حرف عطف ومذهب الجمهور أنّها تشرك في الإعراب لا في المعنى، لأنّك إذا قلت قام زيدًا أو عمرو، فالفعل واقع بين أحدهما، وقال ابن مالك: "إنّها تشرك في الإعراب والمعنى لأنّ ما بعدها مشارك لما قبلها في المعنى الذي جيء لأجله، ولهذا الرابط معاني منها: الشكّ، الإفهام، التخيير، التفسير والإبانة..."[1]، ومثال ذلك:

ها أنت تندب من حكاه بريقه أو طعمه أو دلَّ في التبريح

فأناله هو قد فقدت بعينه أو ليس بخل مدامعي بقبيح

فالنار فرّقت الحوادث بيننا وبها تذوب حشاشي مع روحي[2]

والرابط "أو" يقوم بالفصل بين حجّة وحجّة في هذه الأبيات الشعرية.

الرابط "ثمّ":

وهي من حروف العطف التي تفيد التراخي والمهلة بين قضيّتين متباعدتين، فضلًا عن إفادتها في الترتيب بين الحجج، لقوله: "والعجب أنّه اِفتقدني حالة افتقاره إلي، ثمّ تهدّدني بسماوة اقتداره علي، فقال: لأعذبنه أو لأذبحنه، والقدر يقول: لأقربنهولأهدينه"[3].

في هذا المثال ورد الرابط ثمّ الذي يعتبر آلية من آليّات الحجاج، حيث وظّفه الكاتب قصد ترتيب حججه.

مفهوم العامل الحجاجي:

[1]- المرادي، الجن الداني في حروف المعاني، ص228.

[2]- ابن غانم المقدسي، المرجع السابق، ص103.

[3]- المرجع نفسه، ص110.

تعدّ العوامل الحجاجية من أهمّ الوسائل اللغوية التي يلجأ إليها المتكلّم في توجيه خطابه نحو وجهة حجاجية ما لإقناع متلقّيه بالنتيجة التي يروم تحقيقها، فالعوامل الحجاجية تعمل على تقليص الإمكانات الحجاجيةللقول الواحد داخل الخطاب، وتزيد طاقته الحجاجية في التوجه نحو نتيجة ما، وهي من أهمّ المفاهيم الرئيسية في النظرية الحجاجية التي لا تكون للقول الواحد داخل الخطاب، فالعامل الحجاجي مورفيم، إذ جرى تطبيق في محتوى، أو ملفوظ يؤدّي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ"[1]، وتحدّث ديكرو عن نوع ثاني من المؤشرات اللغوية التي تساعد في تثبيت الوظيفة الحجاجية للغة، وتبرز بوضوح أنّ الحجاج مسجّل في بنية اللغة، وهو العامل الحجاجي الذي يقول ديكرو عنه: "وأمّا النوع الثاني فهو ما يكون داخل القول الواحد، من عناصر تدخل على الإسناد مثل الحصر، النفي أو مكوّنات معجمية تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة، مثل: منذ الظرفية... ويسمّيه عوامل حجاجية"[2].

فيُذكر أن محل وجود العوامل هو القول الواحد، عكس الروابط التي تقع بين الحجج والنتائج.

ويقوم العامل الحجاجي بالربط بين وحدتين دلاليتين داخل الفعل اللغوي نفسه، فهو على هذا الأساس موصل قضوي، فالعامل يحمل المكوّنات داخل الفعل اللغوي، فيبقى هذا الفعل متلحمًا[3]، والعوامل الحجاجية لا تربط بين متغيّرات حجاجية (أي بين حجّة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ولكنّها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما.

والعوامل الحجاجية: "عناصر لغوية تنظّمها غاية واحدة، وهي تحقيق الخطاب للإقناع في عملية التواصل"[4].

---

[1]- ابتسام، بن خراق، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة، الجزائر، 2010، ص160.

[2]- حمادي صمود، أهمّ نزريات الحجاج عند شكري المبخوث، ص377.

[3]- ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص28.

[4]- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للتوزيع والنشر، دار نهي، صفاقس، تونس، ط1، 2011، ص25.

ويعرّف العامل الحجاجي بأنّه: "وحدة لغوية، إذا تمّ إعمالها في ملفوظ معيّن، فإنّ ذلك يؤدّي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ، والتحول الذي يحدثه العامل الحجاجي في المحتوى الدلالي للملفوظ الذي يرد فيه، لا يكون مستمدًّا من القيم الخبرية التي يضيفها هذا العامل، وإنّما تستمدّ من وظيفته التحويلية الخالصة، فهو لا يضيف مضمونًا خبريًّا جديدًا وإنّما غاية ما يحدثه هو شحن وتحويل المضمون الخبري القائم ليؤدّي وظيفة تتلاءم مع الاستراتيجية الحجاجية للمتلقّظ"[1].

فالعامل الحجاجي يؤدّي وظيفة شحن الكلام ليؤدّي وظيفة حجاجية تتلاءم مع مقاصد الحجاج.

فالعامل الحجاجي غير مرتبط بالمتغيّر الحجاجي، أي الحجّة والنتيجة، وإنّما يحصر للإمكانيّة الحجاجية. وللعامل الحجاجي وظائف عدّة منها:

- القضاء على تعدّد الاستلزامات والنتائج.
- ثقوية التوجيه نحو النتيجة، وبعد أن حدّد ديكرو النوع الأول من المؤشّرات اللغوية وهي الروابط، فهو ما يكون داخل القول الواحد من عناصر تدخل على الإسناد كثل: الحصر أو النفي أو مكوّنات معجمية تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة مثل: منذ الظرفية...
- العلاقة بين الحجة والنتيجة ليست اعتباطية، بل هي ناجمة عن توجيه.
- يكون العامل الحجاجي المحرّك للعلائق الحجاجية داخل الملفوظ.

وخلاصة القول: إنّ الروابط والعوامل الحجاجية حملت وظائف مقصودة في بنية اللغة، لأنّها عملت على توجيه الخطاب توجيهًا يتناسب مع بنية المقامة، حيث أدّت الغرض المطلوب منها بإيضاح القصد أو التأثير على الآخر.

[1]- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للتوزيع والنشر، دار نهي، صفاقس، تونس، ط1، 2011، ص4.

خـــاتمة

حاولنا الوقوف في هذا البحث على الطريقة المثلى التي يعتمدها المرسل في إقناع المرسل إليه، فالإقناع – والحال هذه–غاية ما تطمح إليه نفسه، يوظف فيه مجموعة من الإِستراتيجيات الخطابية التي تمكّنه من توجيه الخطاب إلى الوجهة التي يميل إليها، ولعلّ من أبرزها الاستراتيجية الإقناعية التي يحتجّ بها لقضية أو موقف معيّن، لأنّ غاية ما يطمح إليه الانسان في حياته اليومية تحقيق نوع من التواصل بينه وبين المجتمع الذي ينتمي إليه. لذا نجده يوظّف مجموعة من التقنيات الحجاجيةفي وسط تداولي، ووفق مبادئ تواصلية معينة.

ومن خلال دراستنا لكتاب ابن غانم المقدسي دراسة تداولية حجاجية، توصّلنا إلى مجموعة من العوامل الأساسية التي تلعب دورًا هامًّا في التداولية والحجاج، ففي التداولية نجد أفعال الكلام عند العرب والغرب، وما تحمله من عناصر كالمعنى الصريح والضمني.

أمّا الحجاج، فهو ضرورة حتمية،له آليات لا بدّ منها في جميع مجالات الحياة (إعلامية، سيكولوجية، سياسية...)، إذ لا غنى منه ولا مفرّ في طرائق الإقناع التي يسلكها المتكلّم.

والحجاج خاصية جوهرية في كلّ خطاب من منطلق أنّنا نتكلّم بغاية التّأثير —وهذا ما ورد في كتاب ابن غانم المقدسي– وأنّ اللغة هي حجاجية أصلًا، فقد شكّل كذلك الحجاج مشتركًا أو حلقة وصل بين علوم شتّى، كالتداولية واللسانيات والمنطق والبلاغة، وعليه فالحجاج ظاهرة فكرية قديمة حديثة.

وعليه يمكن أن نرصد مجموعة من النتائج نوردها على النحو الآتي:

1. الحجاج فعالية خطابية تواصلية موجّهة إلى مستقبل معيّن سواء كان فردًا أو جماعة، تؤدّي دورًا هامًّا في اِختيار استراتيجية الإقناع.
2. الحجاج والإقناع من عملية واحدة، ولا اختلاف بينهما إلّا في درجة التوكيد.

3. مصطلح الحجاج مفهومه متشعّب، يتحرّك عبر دلالات متنوّعة في كثير من الحقول المعرفية، اِرتبط عبر مساره التاريخي بمصطلحات طالما اعتبرت مرادفات له كالحوار والبرهان... وكلّ هذه المفاهيم تخدم نتيجة واحدة هي محاولة التأثير ووصول المتكلّم إلى هدفه التبليغي.

4. لم يقتصر اهتمام التداولية بمجال الدراسات اللغوية وتحليل الخطاب في مستوى الاستعمال العادي أو التواصلي، إنّما وسّعت مجال اهتمامها، فشملت:

أ. الأفعال الكلامية المباشرة

ب. الأفعال الكلامية غير المباشرة.

ففي التداولية نجد افعال الكلام" افعال مباشرة وغير مباشرة "(فعل قول وفعل ناتج عن القول) فنظرية الافعال الكلامية نظام شكلي دلالي انجازي تأثيري ٠

والخبر والانشاء: حيث ينقسم الخبر الى اضرب انطلاقا من المؤكدات التي يحتويها (انكاري ابتدائي، طلبي) وغرضه من السياق "القصد "،كما تعدد مفهوم الانشاء وانقسامه الى(الانشاء الطلبي وغير الطلبي)

والانشاء الطلبي (كالاستفهام والامر والنهي) وغرضه التأثير واقناع المتلقي٠

والانشاء الغير الطلبي كالتعجب والقسم وغيرهما.

اما فيما يخص النتائج التطبيقية لنظرية الحجاجية في مدونة ابن غانم المقدسي:تتعدد الاساليب والاليات الحجاجية فيما هو بلاغي (التشبيه والاستعارة والشجع والجناس)، وفيما هو لغوي ومنطقي (روابط حجاجية والعوامل الحجاجية) وهذه الاليات هي التي تكسب المدونة درجة عالية من الاقناع في المتلقي.

وعليه يمكن ان نرصد مجموعة من النتائج النظرية نوزعها على النحو الاتي:

1-الحجاج والاقناع عملية واحدة ولا اختلاف بينهما الا في درجة التوكيد ٠

2-الحجاج فعالية خطابية تواصلية موجهة الى مستقبل معين سواء كان فردا او جماعة تؤدي دورا هاما في اختيار استراتيجية الإقناع.

قـــائمة

المصـــادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم برواية ورش

أولا-الكتب:

1. إبراهيم الأنباري عبد الرحمان بن مُحَمَّد بن عبد الله، أسرار العربية، تح: مُحَمَّد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1997.
2. ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: مُحَمَّد علي النجار، دار الهدى، لبنان، ط2، د. ت.
3. ابن جني، اللمع في العربية، تح: جامد المؤمن، عالم الكتب، بيروت، ط2، 3985.
4. ابن عثيمين مُحَمَّد بن صالح، شرح البلاغة (من كتاب قواعد اللغة العربية)، مؤسّسة الشيخ مُحَمَّد بن صالح عثيمين الخيرية السعودية، ط3، 2013.
5. ابن عثيمين مُحَمَّد بن صالح، شرح البلاغة (من كتاب قواعد اللغة العربية)، مؤسّسة الشيخ مُحَمَّد بن صالح عثيمين الخيرية السعودية، ط3، 2013.
6. ابن فارس أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، المكتبة السلفية، مصر، د. ط، 1910.
7. ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام مُحَمَّد هارون، دار الفكر، بيروت، د. ط، د. ت.
8. أبو الحسن إسحاق ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح: جفني مُحَمَّد شرف، مطبعة الرسالة عابدين، مصر، د. ت.
9. أبو بشر عمرو بن عنبر المعروف بسيبويه، تح: عبد السلام هارون، بيروت، د. ت.
10. أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسّسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

قائمة المصادر والمراجع

11. أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ): البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي، مصر، دط، 1975.

12. أبو قاسم الزمخشري، جار الله عمر بن مُحَمَّد الخوارزمي، أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود، إشارات دفتر تبليغات الأمير، د. ط، د. ت.

13. أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، مُحَمَّد عبد الرحمان المرعشلي، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

14. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح: علي مُحَمَّد البجاوي ومُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 2006.

15. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تدقيق: يوسف الصليبي، المكتبة العصرية، لبنان، د. ط، 1999.

16. ادريس مقبول، الأسس الابستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط3، 2007.

17. أرمينكو فرانسكواز، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، 1987.

18. الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط3، 1992.

19. الأصفهاني الحسين بن مُحَمَّد الراغب، المفردات في غريب القرآن، تح: مُحَمَّد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان، د. ط، د. ت.

20. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد شذاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2003، ج3.

قائمة المصادر والمراجع

21. الراغب الأصفهاني، معجم ألفاظ القرآن، تح: صفوان عدنان داوودي، دمشق، دار العلم، دار الشامية، بيروت، 1933.

22. السكاكي أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر مُحَمَّد بن علي، مفتاح العلوم ضبطه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط3، 1983.

23. آن روبول وجاك موشلر، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومُحَمَّد السيباتي، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط3، 2003.

24. أوركيوني كاترين كيربران، المضمر، تر: ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط3، ديسمبر، 2008.

25. إيمان درنوني، الحجاج في النص القرآني، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2013.

26. باتريك شارودو ودومينيك مانغنو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، مراجعة صلاح الدين الشريف، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008.

27. براون وبول، تحليل الخطاب، تر: مُحَمَّد لطفي الزليطي ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، د. ط، د. ت.

28. بسيد عبد الفتاح بسيوني، علم المعاني، مؤسّسة المختار، القاهرة، ط2، 2004.

29. بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، دار العلم الملايين، لبنان، ط1، ج3.

30. بلقاسم دفه، بنية الجملة الطلبية ودلالتها في أسور المدية، منشورات مخبر الأبحاث في اللغة والأدب الجزائري، بسكرة، الجزائر، د. ط، 2006.

قائمة المصادر والمراجع

31. بن عيسى الطاهر، أساليب الإقناع في القرآن الكريم، دار البيضاء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006.

32. بهاء الدين مُحَمَّد مزيد، تبسيط التداولية، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010.

33. بوعلام بن حمودة، كشاف الكلام العربي (أسمائه، حروفه... وإعرابه)، دار النعمان، الجزائر، د. ط، 2013.

34. توفيق الفيل، بلاغة التركيب، دراسة في علم المعاني، مكتبة الآداب القاهرة، د. ط، 1993.

35. جلال الدين مُحَمَّد بن عبد الرحمان القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، تح: عبد الرحمان البرقوني، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1904.

36. جميل صيلبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1982.

37. جواد ختام، التداولية أصولها واتّجاهاتها، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2010.

38. جورج بول، التداولية، تر: قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، ط3، 2010.

39. حافظ إسماعيل العلوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، الأردن، د. ط، د. ت، 2010.

40. حسن بشير، علاقة المنطق باللغة عند فلاسفة المسلمين، مصر، ط3، 2003.

41. حليفة بوحادي، اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2002.

42. حمادي صمود، الحجاج عند أرسطو وضمن كتاب أهمّ نظريات الحجاج في التقليد الغربي من أرسطو إلى اليوم، منشورات كلية منوبة، تونس، ط2، 1998.

قائمة المصادر والمراجع

43. حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب، تونس، د. ت.

44. حمود النقازي وآخرون، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 134، مطبعة الحاج الجديدة، ط1، دار البيضاء، المغرب، 2006.

45. خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة (دراسة نحوية تداولية)، المؤسّسة العربية للتوزيع المنوحة، تونس، ط3، 2003.

46. خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط3، 2003.

47. خضر أبو العينين، معجم الحروف العربي، المعنى، المبنى، الإعراب، دار أسامة، عمان، خضر، د. ط، 2004.

48. خليفة بوحايدي، نحو منظور تداولي لدراسة البلاغة العربية، مشروع لربط البلاغة بالِاتصال، سطيف، الجزائر.

49. خولة طالب الابراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة، الجزائر، ط2، 2006.

50. دومينيك مانغولو، تر: مُحَمَّد يحياتن، منشورات الِاختلافات، ط3، الجزائر، 2008.

51. الزركشي بدر الدين بهار بن عبد الله الشافي، البحر المحيط في أصول الفقه، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط2، 1992.

52. الزمخشري أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، أساس البلاغة، تح: مُحَمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان، ط3، 1998، ج1.

قائمة المصادر والمراجع

53. الزواوي بوفرة، الفلسفة واللغة، نقد المعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

54. سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني هـ، وبنية أسلوبه، د. ط، 1982.

55. سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم نسبه وأساليبه، ط1، 1981، ج1.

56. سيبويه أبو بشير عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام مُحَمَّد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط3، 1996.

57. السيد جعفر السيد باقر الحسيفي، أساليب المعاني في القرآن، مؤسّسة بوستان كتاب، العراق، ط3، 2007.

58. السيوطي، الاتفاق في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، السعودية، د. ط، د. ت، ج3.

59. صابر حباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات الدراسات والنشر، دمشق، ط3، 2008.

60. صادق متن كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، النشر والتوزيع، تونس، منشورات صفاف، لبنان، منشورات الإختلاف، الجزائر، دار مكتبة عدنان، بغداد، ط3، 2015.

61. صالح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، لبنان، ط1، 1993.

62. صباح عبيد دراز، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، مطبعة الأمانة، مصر، ط3، 1986.

قائمة المصادر والمراجع

63. صلاح إسماعيل، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005.

64. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب لبنان للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2004.

65. الطاهر لوصيف، التداولية اللسانية، ملتقى علم النص، مجلة اللغة والأدب، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر، العدد 12، 2006.

66. طه عبد الرحمان، التواصل والحجاج، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، د. ط، د. ت.

67. طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1996.

68. طه عبد الرحمان، في أصول الحوار والتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000.

69. طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط1، 2007.

70. عادل فاخوري، محاضرات في فلسفة اللغة، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2013.

71. عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط3، د. ت.

72. عبد الرحمان النحلاوي، أصول التربية الإسلامية في البحث والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، دمشق، ط2، 2001.

قائمة المصادر والمراجع

73. عبد الرحمان حسن حنيكة الميداني، البلاغة العربية (أسسها، علومها، وفنونها)، دار القلم، سوريا، ط1، 1996، ج1.

74. عبد العزيز أبو سريع ياسين، الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية، مطبعة السعادة، عمان، ط3، 1989.

75. عبد القادر مُحَمَّد مايو، البلاغة العربية (الخبر والإنشاء)، سوريا، د. ط، د. ت.

76. عبد القاهر بن عبد الرحمان بن مُحَمَّدالجرجاني (أبي بكر) ، دلائل الإعجاز، تع: مُحَمَّد شاكر.

77. عبد الكريم محمود يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم (غرضه، إعرابه)، مطبعة الشام، دمشق، ط3، 2000.

78. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضعاف، بيروت، لبنان، 2013.

79. عبد الله بن صالح الفوزان، تعجيل الذي شرح قطر الندى، داربي لجوزي، السعودية، ط2، 2010.

80. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، بيروت، ط2، 2007.

81. عبد الله مُحَمَّد النقراط، الشامل في اللغة العربية، دار الكتب الوطنية، بنخاري، ليبيا، ط3، 2003.

82. عبد المعتال الصعيدي، بنية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة، د. ط، 1999، ج2.

83. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، دار الغرب والنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2005.

قائمة المصادر والمراجع

84. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

85. عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، ط1، تونس، 2011.

86. عز الدين عبد السلام بن غانم المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، حقّقه وعلّق عليه: عبد الوهاب مجد، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة.

87. علي الجازم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة (البيان، المعاني، البديع)، دار المعارف، القاهرة، مصر، د. ط، 1999.

88. علي أيت أوشن، ديداكتيك التعبير والتواصل (التقنيات والمجالات) دار أي فرقار للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، د. ط، 2010.

89. عمر بلخير، مقالات في التداولية والخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، ط1، د. ت.

90. عمر عبد الله يوسف، مقابلة الحروف غير العاملة في القرآن الكريم (الوصف النحوي والوظائف الدلالية)، د. ط، 2010.

91. العياشي أدراوين الإستلزام الحواري في التداولية اللسانية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011.

92. عيسى العاكوب وعلي سعد الشتوي، الكافي في علوم البلاغة العربية (المعاني، البيان، البديع)، مطبعة الإنتصار، الإسكندرية، ط3، 1993.

قائمة المصادر والمراجع

93. عيسى رانية فوزين، علم اللغة النصي، رسائل الجاحظ أنموذجًا، دار المعرفة الجامعية، مصر، د. ط، 2014.

94. فاتح عبد السلام، الحوار القصصي، المؤسّسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 1999.

95. فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر، الأردن، ط2، 2007.

96. فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا شرق، الدار البيضاء بيروت، د. ط، 2000.

97. فليب بروتن وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: مُحَمَّد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، ط11، 2011.

98. فليب بلاتشيه، التداولية بين أوستين إلى غومان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2007.

99. فوزي السيد عبد ربه الجاحظ، المقاييس البلاغية في البيان والتبيين، مكتبة الآنجو المصرية، القاهرة، 2005.

100. القرطاجي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: مُحَمَّد بن الخوخة، الشركة الوطنية للنشر، تونس، ط1، 1966.

101. القزويني أبو سعد الله زكريا، بن مُحَمَّد بن محمود، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2003.

102. قطبي الطاهر، بحوث في اللغة الاستفهام البلاغي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د. ط، د. ت.

قائمة المصادر والمراجع

103. قيس إسماعيل الآوسي، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، بيت الحكمة، بغداد، العراق، د. ط، 1986.

104. كريم حسن ناضج الخالدي، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار الصفاء، الأردن، ط3، 2006.

105. مجد الدين بن يعقوب، الفيروز أبادي، قاموس المحيط، تح: مجهد نعيم العرقسوسي، ط2، د. ت.

106. مُحَمَّد أبو موسى، دلالات التركيب –دراسة بلاغية– دار العلم، القاهرة، ط3، 1986.

107. مُحَمَّد احمد ومحي الدين ديب، علوم البلاغة (البديع، البيان والمعاني)، المؤسّسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط1، 2003.

108. مُحَمَّد العمري، البلاغة العربية أصولها وإمتداداتها، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2010.

109. مُحَمَّد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، إفريقيا، الشرق، المغرب، لبنان، ط2، 2002.

110. مُحَمَّد القاضي ومجموعة من المؤلّفين، معجم السرديات، دار مُحَمَّد علي للنشر، تونس، ط1، 2010.

111. مُحَمَّد بن عبد الرحمان الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه عبد الرحمان البرقوقي، دار الفكر العربي، ط2، 1904.

112. مُحَمَّد سالم الأمين، طلبة الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد، ليبيا، ط1، 2008.

قائمة المصادر والمراجع

113. مُحَمَّد سالم مُحَمَّد الأمني، الحجاج في البلاغة المعاصرة (بحث في بلاغة النقد المعاصر)، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط3، 2008.

114. مُحَمَّد سليمان الياقوت، النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، طبعة جديدة، 1998.

115. مُحَمَّد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، دار الفرقان، عمان، ط3، 1985.

116. مُحَمَّد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطق اللساني، دار الثقافة، المغرب، ط1، 2005.

117. مُحَمَّد مجدي الحريري،المتشابهات الفلسفية لفلسفة الفعل عند فتجشين ، دار أنور للتوزيع، د. ط.

118. مُحَمَّد محمود السيد أبو حسين، الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الفكر العربي، مصر، د. ط، 2010.

119. مُحَمَّد مرتاض الحسني الزبيدي، تاج العروس من جوالة القاموس، تح: عبد الستار أحمد خراج، مطبعة حكومة الكويت، د. ط، 1965، ج3.

120. محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2002.

121. محمود العام المنزلي، الأصول الوافية الموسومة بأنوار الربيع في (الصرف، النحو، المعاني، البيان، البديع) مطبعة التقدم العلمية، ط3، 1907.

قائمة المصادر والمراجع

122. محمود طلحة، تداولية الخطاب السردي، دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، عالم الكتب الحديث، أربد الأردن، ط3، 2012.

123. محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط3، 2013.

124. المرادي الحسن ابن قاسم الجن الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992.

125. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطبعة، بيروت، ط3، 2005.

126. مصطفى غلاييني، جامع الدروس العربية (موسوعة في ثلاثة أجزائها)، شركة أبناء الأنصاري، لبنان، ط23، 1996.

127. مصلوح سعد عبد العزيز، في بلاغة الغربية والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة، مجلس النشر العلمي، الكويت، 2003.

128. ميس خليل مُحَمَّد عودة، تأصيل الأسلوبية في الموروث النقدي والبلاغي، كتاب مفتاح العلوم للسكاكي نموذجًا، جامعة الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابليس، فلسطين، 2006.

129. نادية رمضان النجار، الإِتّجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي، مؤسّسة حورس الدولية، ط1، 2012.

130. نعمان بوقرة، اللسانيات العامّة اتّجاهاتها وقضاياها الراهنة، علم المكتبة الحديث، أربد، الأردن، ط3، 2009.

قائمة المصادر والمراجع

131. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساس في لسانيات النص وتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث، أربد، ط3، 2009.

132. نعيمة الزهري، الأمر والنهي في اللغة العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن 2، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، د. ط، 1997.

133. هاجر مدفن، آليات تشكّل الخطاب الحجاجي (بين نظرية البيان ونظرية البرلمان)، مجلّة الأثر، الجزائر، 2006.

134. يعيش بن علي بن يعيش، شرح المفصل، علم الكتب، بيروت، د. ت، ج2.

135. يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، علم المعاني، علم البديع، دار النشر والتوزيع الميسرة، الأردن، ط3.

ثانيا–المعاجم:

1. إبراهيم مدكور، المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مصر، ط3، 1980

2. ابن منظور أبي الفضل جمال الدين بن مُحَمَّد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، لبنان، د. ط، د. ت.(15)

3. أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002.

4. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط3، باب النون، المجلّد

5. أوزو الدوجان مارسنشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2003.

6. بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، دار المنارة، جدّة، ط3، 1977.

قائمة المصادر والمراجع

7. بطرس البستاني، محيط المحيط (قاموس مطول للغة العربية) مطابع تيجو، بيروت، طبعة جديدة، 1987.

8. الزبيدي مُحَمَّد مرتاض الحسني، تاج العروس، تح: إبراهيم الترزي، مراد عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، د. ط، 1972، ج10.

9. علي محمود الصراف، في براغماتية الأفعال الإنجازية العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، مصر، ط8، 2010.

10. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004.

ثالثا–الرسائل الجامعية والأطاريح:

-ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتبة، رسالة دكنوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة، الجزائر، 2010.

رابعا– المجلات والمؤتمرات:

1. أمينة بلعلي، الإقناع المنهج الأمثل للتواصل والحوار، مجلّة التراث العربي، رئيس التحرير علي عقلة عرسان، ع9، تيزي وزو، الجزائر 2003.

2. باديس لهويمل، التداولية والبلاغة العربية، جامعة بسكرة، كلية الآداب واللغات، ع: 7، 2011.

3. تمام حسان، المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة، مجلّة فصول، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ع: 7، 1978.

4. عمر فاطمة الزهراء بوكرمة، المؤتمر الدولي "خطاب التجديد في الدراسات العربية بين النظرية والتطبيق، بحث بعنوان نحو قراءة جديدة للتراث العربي الإسلامي بالوقوف على تداولية الأفعال الكلامية.

5. مُحَمَّد سالم صالح، أصول النظرية السياقية عند العلماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى، مقال صادر عن جامعة الملك عبد العزيز، كلية المعلمين بمحافظة جدّة، السعودية، د. ت.

6. نعمان بوقرة، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية، قراءة إستكشافية للتفكير التداولي في المدوّنة اللسانية التراثية، مجلّة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، 2006، ع17.

خامسا–الأطروحات الجامعية:

1. حسن بوبلوطة، الحجاج في الإمتناع والمؤانسة لأبي التوحيدي، مذكرة ماجيستر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحجاج لخضر باتنة، الجزائر، 2009.

2. عمر بلخير، الخطاب تمثيل للعالم بعض الظواهر التداولية في اللغة، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجيستر في اللغة العربية، جامعة الجزائر، 1997.

3. نور الدين بوزناشة، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه، سطيف، جامعة لمين دباغين، 2015/ 2016.

4. هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، بحث ضمن كتاب أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربي، إشراف حمادي صمود، منوبة، كلية الآداب، تونس، د. ط.

5. يحي بعطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربين أطروحة دكتوراه، إشراف: عبد الله بوخلخال، جامعة منشوري، قسنطينة.

فهرس

الموضوعات

فهرست الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحـــة
مقدّمة	**أ–ج**
مدخل	**17–2**
مفهوم الحوار	**4–2**
مفهوم البلاغة	**8–5**
بلاغة الحوار	**12–8**
ماهية الدراسة التداولية.....	**13–12**
ماهية الدراسة الحجاجية	**15–13**
التعريف بكتاب ابن غانم المقدسي	**17–15**
الفصل الأوّل **تحليل تداولي لكتاب"كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار"**	**–**
نشأة التداولية	**25–19**
درجات التداولية	**29–26**
نظرية أفعال الكلام	**32–29**
1.تصنيف "أوستين" للأفعال الكلامية	**36–32**
2.إعادة صياغة نظرية أفعال الكلام من قبل"سيرل"	**41–36**

فهرست الموضوعات

3. الفعل الكلامي عند الدارسين العرب	**43–41**
الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي	**76–53**
أقسام الإنشاء	**82–53**
الفعل الكلامي المباشر وغير المباشر	**90–82**
الفصل الثاني **تحليل حجاجي لكتاب "كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار"**	**–**
تعريف الحجاج	**94–92**
الحجاج في الفكر الغربي القديم.....	**98–95**
الحجاج في الفكر الغربي الحديث	**101–98**
الحجاج في الفكر العربي االقديم	**104–102**
الحجاج في الفكر العربي االحديث	**109–104**
الآليات الحجاجية	**113–109**
مفهوم الرابط والعامل الحجاجي	**121_113**
خـاتمة	**124–123**
قـائمة المصادر والمراجع	**141–126**
فهرست الموضوعات	**146–144**
ملخّص	**–**

مُلخّص

تُعتبر بلاغة الحوار توخي كلّ خطاب يتجاوب متلقّي معيّن، فالحوار يقوم على المناضرة من طاقة حجاجية لأنّها أبرز ما يتحلّى فيه البعد التداولي، وهذا ما أشار إليه "ابن غانم المقدسي في كتابه: "كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار" الذي يتناول مُكوّنات الحوار وأخلاقياته وآليّات اشتغاله.

وهي النظرية العامة للإقناع التي تعتبر فرعًا من فروع البلاغة، بالإضافة إلى النظرية التداولية التي تعتبر فرع من فروع العلوم اللغوية التي ظهرت حديثًا، والتي تقوم بتحليل عمليّات الكلامية والكتابة ووصف وظائف الأقوال اللغوية، وما تحتويه من أفعال مباشرة وغير مباشرة، وأمّا النظرية الحجاجية فهي المرتبطة بالإقناع والتأثير.

الكلمات المفتاحية : الحوار ،البلاغة،بلاغة الحوار ،الحجاج ،التداولية .

La rhétorique du dialogue est la prudence de chaque discours qui particulier. Le dialogue se fonde sur le début à partir de la puissance de l'argumentation délibérative. C'est la théorie générale de la persuasion. Qui est une branche de la rhétorique, en plus de la théorie délibérative, qui traverse une branche des sciences linguistiques, qui analyse les processus de la parole et de l'écriture et décrit les fonctions des dictions linguistiques et ce qu'ils sont indirects. Quand la théorie argumentative est liée à la persuasion et a l'influence.

Les mots clés :dialogue,Rhétorique,l'éloquence du dialgue ,pèlerins,délibèrant.